وصايا لقمان الحكيم في تربية الأبناء

إبراهيم حواس سينو

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبيه الأمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن سار على نهجهم واقتدى بهديهم إلى يوم الدين ، وبعد :

مسؤولية الآباء نحو الأبناء من المواضيع المهمة التي تشغل بال كثير من الباحثين في كل عصر ، ولا أدل على ذلك من أخبار القرآن عن وصية لقمان الحكيم لابنه ، وما ورد في ذلك من الآيات تبين مسؤولية الآباء نحو أبنائهم ، وما جاء عن الرسول ﷺ من الأحاديث في هذا الموضوع ، وما تناوله العلماء من الأبحاث في هذا الجانب .

السبب الذي دفعني إلى تناول هذا الموضوع هو جهل الكثير من الآباء بمسؤوليتهم نحو أبنائهم ، وعدم إلمامهم بالجوانب التربوية ؛ لقد وجدت في وصية لقمان

الحكيم لابنه في القرآن الكريم ، ما يشفي صدور الذين يريدون معرفة ذلك ، والله ولي التوفق .

من الدّراسات السابقة – القديمة منها والمعاصرة – التي تناولت هذا الموضوع اذكر منها : ١- **الدراسات القديمة** : أيها الولد للإمام أبي حامد محمّد الغزالي (ت:٥٠٥ هـ) ، لفتة الكبد إلى نصيحة الولد لإمام جمال أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي (ت: ٥٩٧ هـ) ، تحفة المودود بأحكام المولود للحافظ شمس الدين محمّد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت:٧٥٢ هـ) .

٢- **الدراسات المعاصرة** : تربية الطفل دينياً وأخلاقياً للدكتور علي القائمي ، فقه تربية الأبناء لمصطفى العدوي ، فن تربية الأولاد في الإسلام تأليف محمّد سعيد مرسى .

لكن يبقى هذا الموضوع شيقاً يبعث النفس على المزيد ، فكلما نظر إليه من جوانب كثيرة ودرس بمنهجيات

مختلفة كلما استفيد منه أكثر ، وهذا البحث بحمد الله رؤية جديدة من خلال الوقوف على وصية لقمان الحكيم لابنه في القرآن الكريم ، وما جاء في هذا الموضوع من أحاديث صحيحة ، والوقوف عند الدروس والعبر المستفادة التي ذكرها العلماء .

ومن ابرز المصادر التي ركزت عليها في البحث ، القرآن الكريم وتفاسيره ، وكتب الأحاديث ، وكتاب أحياء علوم الدين للإمام أبي حامد محمّد الغزالي .

خطة البحث : يشتمل هذا البحث على :

مقدمة ؛ تمهيد ؛ وثلاثة مباحث : المبحث الأول : الأبناء وعلاقتهم مع الله سبحانه تعالى ، المبحث الثاني : الأبناء وعلاقتهم مع الوالدين ، المبحث الثالث : الأبناء وعلاقتهم مع الناس ؛ الخاتمة ؛ الفهرس .

والله ولي التوفيق .

تمهيد

لا شك إن الآباء مسئولون عن تربيتهم لأبنائهم ، وسيحاسبون يوم القيامة بين يدي الله ﷻ عن ذلك ، فعلى كل أب مراجعة نفسه قبل فوات الأوان ، يقول الله ﷻ في ذلك : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[1] .

وفي الحديث الشريف يقول رسول الله ﷺ : " كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته ، الإمام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته "[2] .

---

١) التحريم : ٦ .

٢) أبي عبدالله محمّد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦) ، **صحيح البخاري** ، اعتنى به أبو صهيب الكرمي ، الرياض ، بيت الأفكار الدولية للنشر ، ١٤١٩/١٩٩٨ ، كتاب الجمعة (١١) ، باب الجمعة في القرى والمدن (١١) ، حديث (٨٩٣) ، ١٧٩ .

وبين الإمام الغزالي[1] مسؤولية الآباء نحو أبنائهم ، فقال : " اعلم أنّ الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها ، والصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة ، خالية عن كل نقش وصورة ؛ وهو قابل لكل ما نقش ومائل إلى كل ما يمال به إليه ؛ فإنّ عوّد الخير وعلمه ، نشأ عليه ، وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب ؛ وإنّ عود الشر وأهمل إهمال البهائم ، شقي وهلك ، وكان الوزر في رقبة القيم عليه ، والوالي له ؛ وقد قال الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ...﴾[2] ومهما كان الأب يصونه عن نار الدنيا فبأن يصونه عن نار الآخرة

---

١) الغزالي (٤٥٠ – ٥٠٥ هـ = ١٠٥٨ – ١١١١ م) محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، أبو حامد ، حجة الاسلام : فيلسوف ، متصوف ، له نحو مئتي مصنف ؛ مولده ووفاته في الطابران (قصبة طوس ، بخراسان) رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر ، وعاد إلى بلدته . [خير الدين بن محمود الزركلي (١٣٩٦هـ) ، **الأعلام** ، دار العلم للملايين ، ط١٥ ، ٢٠٠٢ ، [١–٨] ، ٧ ، ٢٢] .

٢) التحريم : ٦ .

أولى ؛ وصيانته بأن يؤدبه ويهذبه ، ويعلمه محاسن الأخلاق ، ويحفظه من القرناء السوء ، ولا يعوده التنعم ، ولا يحبب إليه الزينة وأسباب الرفاهية ، فيضيع عمره في طلبها إذا كبر ، فيهلك هلاك الأبد بل ينبغي أن يراقبه من أول أمر..."[1] .

في القرآن الكريم وصايا تربوية للقمان الحكيم لابنه ، سأقف عند هذه الوصايا في هذا البحث ، لتعرف من خلالها مسؤولية الآباء نحو أبنائهم ، وفي البدء من هو لقمان الحكيم ، وما هي الحكمة ؟ .

لُقْمانَ : " لقمان بن باعورا من أولاد آزر ، ابن أخت أيوب أو ابن خالته ، أسود من سودان مصر من النوبة ، وعاش حتى أدرك داود وأخذ منه العلم ، آتاه اللّه الحكمة ، أي العقل والفطنة والعلم والإصابة في القول ،

---

١) أبي حامد محمّد الغزالي(ت٥٠٥هـ) ، **إحياء علوم الدين** ، دمشق ، دار الخير ، ط٣ ، ١٤١٤/١٩٩٤ ، [١-٥] ، ٣ ، ٢٠١ .

والجمهور على أنه كان حكيما ، ولم يكن نبيا ؛ من أقواله : (الصمت حكم وقليل فاعله) ، وقيل له : أي الناس شر؟ قال : الذي لا يبالي إن رآه الناس مسيئا "[١] .

ما الذي ارتقى بسيدنا لقمان الحكيم حتى ذكره الله ﷻ في كتابه الكريم ؟! الحكمة ، فما هي الحكمة ؟.

الحكمة : " عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم ؛ ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها : حكيم "[٢] ؛ وفسر الحكمة أيضاً بأنها " عبارة عن توفيق العمل بالعلم ، فكل من أوتي توفيق العمل بالعلم فقد أوتي الحكمة "[٣] .

---

١) وهبة بن مصطفى الزحيلي ، **التفسير المنير** ، دمشق ، دار الفكر ، ١٤١٨هـ ، [١-٣٠] ، ٢١ ، ١٤٣ .

٢) محمّد بن مكرم ابن منظور المصري(ت٧١١هـ) ، **لسان العرب،** المحقق : عبد الله علي الكبير - محمد أحمد حسب الله - هاشم محمد الشاذلي ، القاهرة ، دار المعارف ، [١-٦] ، ٢ ، ٩٥١ .

٣) محمّد ابن عمر الرازي(ت٦٠٤ هـ) ، **تفسير الفخر الرازي** ، بيروت ، دار الفكر، ط١، ١٤٠١/١٩٨١، [١-٣٢] ، ٢٥ ، ١٤٦.

ولقد أعلى الله ﷻ من شأن الحكمة ، فقال ﷻ : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾[1] ، وبين لنا ﷻ نموذجاً عن إنسان حكيم منّ عليه بالحكمة ، فقال الله ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾[2] ، وأختار الله ﷻ من الحكمة التي أتاها لقمان الوصية لابنه ، لأهميتها ، حتى تستفيد منها البشرية ، ويأخذ منها الدروس والعبر ، لأنفسهم ولأبنائهم ، فقال الله ﷻ عن وصية لقمان الحكيم في كتابه العزيز : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ * وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابنه وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تشّرك بِاللَّهِ إِنَّ الشّرك لَظُلْمٌ عَظِيمٌ * وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ

---

١) البقرة : ٢٦٩ .

٢) لقمان : ١٢ .

تشّرك بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ * يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ * وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾[1] .

نبّه لقمان الحكيم في هذه الوصية إلى أوّليات التربية ، فما هذه الأوّليات ؟ وكيف يستفيد الآباء من هذه الوصية في معرفة مسؤوليتهم نحوا أبنائهم ، كل هذا ، وغيره ستجده في هذا البحث والله ولي التوفيق .

---

١) لقمان : ١٢ – ١٩ .

المبحث الأول

وصايا لقمان الحكيم في علاقة الأبناء مع الله ﷻ

الوصية الأولى : لا تشّرك بالله ﷻ .

الوصية الثانية : شكر الله ﷻ .

الوصية الثالثة : إلى الله ﷻ المصير والمرجع.

الوصية الرابعة : معرفة الله ﷻ من خلال أسمائه الحسنى .

الوصية الخامسة : أقم الصلاة .

الوصية الأولى : لا تشرّك بالله ﷻ : ﴿ يَا بُنَيَّ لَا تشرّك بِاللَّهِ إِنَّ الشّرك لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾

ما هو الشّرك ؟ وما خطورته ؟ وما بعض صوره ؟ حتى يبعد الأباء أبنائهم عن هذا الخطر العظيم الذي نبّه لقمان الحكيم ابنه إليه .

أ- **تعريف الشّرك** : " أَشْرَك بالله جعل له شَريكاً في ملكه تعالى الله عن ذلك "[1] ؛ والإشراك بالله تعالى جنس تحته أنواع ، وكله مذموم ، وإن كان بعضه أكبر من بعض ، والشّرك له مراتب ، فمنه الشّرك الأكبر ، ومنه الأصغر ، وهو الشّرك الخفي [2] .

---

١) ابن منظور ، **لسان العرب** ، [١-٦] ، ٤ ، ٢٢٤٩ .

٢) وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت ، **الموسوعة الفقهية الكويتية** ، الكويت ، دار السلاسل ، ط٢ ، ١٤١٢/١٩٩٢ ، [١- ٤٥] ، ٥ ، ٦ .

١- **الشّرك الأكبر** : وهو اتخاذ الشريك لله تعالى في إلوهيته أو عبادته ، وهو المراد بقول الله ﷻ : ﴿ إِنَّ الشّرك لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[١] ، وعن ابن مسعود ﷺ قال : سألت رسول الله ﷺ أي الذنب أعظم عند الله ؟ قال : " أن تجعل لله نداً ، وهو خلقك "[٢] .

٢- **الشّرك الأصغر (الشّرك الخفي)** : وهو مراعاة غير الله في العبادة ؛ مثل الرياء ، لقول الله ﷻ : ﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾[٣] ، وفي الحديث يقول الرسول ﷺ : " إنَّ أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا : يا رسول الله وما الشرك الأصغر ؟ قال : الرياء ، يقول الله ﷻ لهم يوم القيامة إذا جزي الناس بأعمالهم : اذهبوا إلى الذين كنتم تُرَاؤُونَ في الدنيا ، فانظروا هل تجدون عندهم

---

١) لقمان : ١٣ .

٢) البخاري ، **صحيح البخاري** ، كتاب التفسير (٦٥) ، باب : قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[البقرة ٢٢] (٣) ، حديث (٤٤٧٧) ، ٨٤٦ .

٣) كهف : ١١٠ .

جزاء "[1] .

وذكر العلماء فروقاً بين الشّرك الأكبر والأصغر ، أهمها ما يلي :

١ – أن الشّرك الأكبر لا يغفر الله لصاحبه إلا بالتوبة ، وأما الأصغر فتحت المشيئة .

٢– أن الشّرك الأكبر محبط لجميع الأعمال ، وأما الأصغر فلا يحبط إلا العمل الذي قارنه .

٣– أن الشّرك الأكبر مخرج لصاحبه من ملة الإسلام ، وأما الشّرك الأصغر فلا يخرجه منها .

٤– أن الشّرك الأكبر صاحبه خالد في النار ومحرمة عليه الجنة ، وأما الأصغر فكغيره من الذنوب .

ب– خطورة الشّرك : القرآن الكريم بين خطورة

---

١) أحمد بن حنبل(٢٤١هـ/٨٥٥م) ، **المسند** ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م ، ٣٩ ، ٣٩ . [حديث حسن] .

الشرك على الإنسان من هذه الأخطار :

١- الشّرك من أكبر الكبائر : يقول الله ﷻ : ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴾[١] ، وفي الحديث يقول رسول الله ﷺ : " ألا أنبئكم بأكبر الكبائر -ثلاثا - قالوا بلى يا رسول الله ، قال : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ..."[٢] .

٢ - لا يغفر لمن لم يتب منه : يقول الله ﷻ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾[٣] .

٣- الشّرك يحبط جميع الأعمال : يقول الله ﷻ :

---

١) النساء : ٤٨ .

٢) البخاري ، **صحيح البخاري** ، كتاب الشهادات(٥٢) ، باب : ما قيل في شهادة الزور (١٠) ، حديث (٢٦٥٤) ، ٥٠٣ .

٣) النساء : ١١٦ .

﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[1] .

٤- المشَرك يحرم الجنة ومأواه النار : يقول الله ﷻ : ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ﴾[2] .

ج- **بعض صور الشّرك** : بدأ لقمان الحكيم وصيته بالشّرك لأهميتها ، وتكمن أهميتها في خطورتها كما دلت الآيات السابقة ، فمسؤولية الآباء الأولى هو أبعاد ظلال الشّرك بالله ﷻ في كل مجالات الحياة عن عقول وقلوب أبنائهم ، وذلك منذ نعومة أظافرهم ؛ من خلال علمهم بأنه لا ضار ولا نافع ، ولا خافض ولا رافع ، ولا قابض ولا باسط ، ولا معز ولا مذل إلا الله ﷻ ، حتى يتيقن الأبناء بأن الأمر كله بيد الله ﷻ ، فهو القائل ﷻ : ﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾[3] ، فإذا ظن الإنسان إنه

---

١) الأنعام : ٨٨ .

٢) المائدة : ٧٢ .

٣) هود : ١٢٣ .

أحد غير الله بيده الضر والنفع فقد أشرك مع الله ﷻ غيره ؛ فالمخلوقات جميعها لا تملك لنفسها الضر والنفع ، فكيف يملكونها لغيرهم ؟ وهذا واضح في قول الله ﷻ : ﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[1] ، وهذا ما كان يعلمه الرسول ﷺ لأصحابه – رضوان الله عليهم – منذ صباهم ، فعن ابن عباس ، رضي الله عنهما ، قال : كنت خلف النبي ﷺ يوما فقال : " يا غلام إني أعلمك كلمات : أحفظ الله يحفظك ، أحفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم : أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء ، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ؛ رفعت الأقلام وجفت الصحف "[2] .

---

١) يونس : ١٠٧ .

٢) محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي ، **الجامع الصحيح سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، [١-٥]، ٤ ، ٦٦٧. [حديث حسن صحيح] .

بهذه العقيدة يتصل الأبناء منذ نعومة أظافرهم بالله ﷻ ، فإذا جاءه نفع من العباد ، علم إن هذا النفع من الله ﷻ وحده ، وإنما العباد سخرهم الله ﷻ لهذا النفع ، فيتأدب معهم بالشكر ، لأن الشرع أمره بذلك ، وإن جاءه ضر من الناس ، علم إن هذا الضر بإذن من الله ﷻ ، أراده لحكمة ولسبب ؛ أما اعتقاد أن الضر والنفع يأتي من عند غير الله ﷻ فهذا الاعتقاد صورة من صور الشّرك ، وهناك صور أخرى ، منها :

١- عبادة النجوم : يقول الله ﷻ على لسان هدهد: ﴿ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾[١] .

٢- جعل لله ﷻ ولد - تعالى الله عما يشركون - يقول الله ﷻ : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[٢] .

---

١) النمل : ٢٤ .

٢) المؤمنون : ٩١ .

٣- عبادة العباد : يقول الله ﷻ : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[١] ، وقد جاء في تفسيرها عن عدي بن حاتم ﷺ قال : أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب ، فقال : " يا عدي اطرح هذا الوثن من عنقك ، فطرحته فانتهيت إليه وهو يقرأ سورة براءة فقرأ هذه الآية ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ حتى فرغ منها ، فقلت أنّا لسنا نعبدهم ، فقال: أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتستحلونه ؟ قلت : بلى ، قال : فتلك عبادتهم "[٢] .

٤- عبادة هوى النفس : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ

---

١) التوبة : ٣١ .

٢) أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني(٣٦٠هـ) ، **المعجم الكبير** ، تحقيق : حمدي عبدالمجيد السلفي ، القاهرة ، مكتبة ابن تيمية ، [١-٢٥] ، ١٧ ، ٩٢ .

عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[1] .

عندما يتحرر الإنسان من الشّرك يصبح حراً ، فأنه لا يذل نفسه لمخلوق ، بل يصدع بالحق ، ويقاوم الظلم ، ولا يخاف إلا الله ﷻ ، لأنه يعلم إن نواصي الموجودات كلها بيد الله ﷻ ، هو الذي يطلق نواصي المخلوقات بالضر أو النفع لحكمة ولسبب يعلمه هو ﷻ ، أما الإنسان قد يعلمها أو يجهلها ، فهذا نبي الله تعالى هود عليه السلام يطالب الناس الذين يهددونه ، بأن يكيده جميعاً ، فهو لا يخافهم ؟ لأن نواصي المخلوقات بيد الله تعالى وحده : ﴿ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تشْرِكونَ * مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ * إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[2] .

---

١) الجاثية : ٢٣ .

٢) هود : ٥٦ .

عندما يرى الإنسان سلطان الله تعالى وحده باسط على الوجود ، وإن النفع والضر بيده وحده ، عندها يتحرر من سلطان الشّرك الأصغر أيضاً ، فيبتعد عن الرياء والنفاق ؛ يرائي وينافق من ؟ وهو لا يرى إلا سلطان الله تعالى وحده .

الوصية الثانية : شكر الله ﷻ : ﴿ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾

أ- **تعريف الشكر** : " الشّكر ، بالضم : عرفان الإحسان ونشره ، وهو الشكور أيضا ، أو لا يكون الشكر إلا عن يد ، والحمد يكون عن يد وعن غير يد ، فهذا الفرق بينهما ؛ والشكر على ثلاثة أضرب : شكر بالقلب ، وهو تصور النعمة ، وشكر باللسان ، وهو الثناء على المنعم ، وشكر بالجوارح ، وهو مكافأة النعمة بقدر استحقاقه "[1] ؛ "والشكر هو عرفان النعمة وإظهارها والثناء بها ، ومن الله الرضا والثواب [2] ؛ جاء في ثنايا وصية لقمان الحكيم لولده وصية الله ﷻ للأبناء ، ومن هذه الوصية شكر الله ﷻ وشكر الوالدين ، وسأقف عند وصية

---

١) محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، **تاج العروس من جواهر القاموس** ، تحقيق : محمود محمد الطناحي ، كويت ، مطبعة حكومة الكويت ، ١٣٩٦/١٩٧٦ ، [١- ٤٠] ، ١٦ ، ٢٢٤- ٢٢٥.

٢) إبراهيم مصطفى – وآخرون ، **المعجم الوسيط** ، تحقيق : مجمع اللغة العربية ، دار الدعوة ، [١-٢] ، ١ ، ٤٩٠ .

شكر الله ﷻ في هذا المبحث .

ب- نِعْم الله ﷻ : إذا تأملت جيداً سترى أن المتفضل الوحيد علينا بالنّعم هو الله ﷻ وحده لا غير ، فقد قال ﷻ : ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾[1] ، وهذه النّعم لا يمكن إحصاؤها وحصرها ، يقول الله ﷻ : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾[2] فالكون بكل ما فيه قد سخره الله تعالى للإنسان ، يقول في ذلك الله ﷻ : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴾[3] فعندما يتعرف الإنسان على نّعم الله تعالى وإحسانه ، عندها يتوجه إليه ﷻ بالشكر ، فالإنسان ذو الفطرة السليمة إذا أحسن أحد أليه ، فإنه لا يرتاح إلا إذا رد إليه ذلك الإحسان ، يقول الله ﷻ

---

١) النحل : ٥٣ .

٢) النحل : ١٨ .

٣) لقمان : ٢٠ .

في ذلك : ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾[1] ، فعلى الآباء مسؤولية تعريف أبنائهم بنّعم الله ﷻ وعظيم أحسانه عليهم ، حتى يقومون بشكر الله ﷻ ، والدارس للقرآن يجد هذا الأسلوب في القرآن الكريم ، فالله ﷻ يعرفنا في كتابه العزيز على صور متنوعة من النّعم التي تحيط بنا ، ثم يريد من المتأمل فيها بالشكر له ﷻ ، وهذه طائفة من الآيات تبين ذلك : يقول الله ﷻ : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ * وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ * لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾[2] ؛ ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ * وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ * وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾[3] ، ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى

---

١) الرحمن : ٦٠ .

٢) يس : ٣٣-٣٤-٣٥ .

٣) يس : ٧١ -٧٢ -٧٣ .

النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾[1] ، ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[2] ، ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[3] .

كما ينبغي على الآباء أن يبينوا لأبنائهم ، أنه كل ما تدّخل فيه يد الإنسان من النّعم ، مثل صناعة المركبات وبناء الناطحات واختراع الأجهزة الإلكترونية وغيرها ، فهي من الله ﷻ ، لأنه ﷻ هو الذي أمد الإنسان بالقوة والعلم والعقل والمواد وسنن تسخيرها ، ولولا هذا لما استطاع الإنسان أن يسخر هذه النّعم له ، فانظر إلى باقي المخلوقات من حول الإنسان ، هل أبدع شيء مثل الإنسان ؟ فالله ﷻ هو المتفضل على كل إنسان بنعمة

---

١) غافر : ٦١ .

٢) النحل : ١٤ .

٣) النحل : ٧٨ .

الإيجاد ، فأوجده من العدم ، و بنعمة الإمداد ، فأمده بكل ما يحتاج ، وبنعمة التربية والإرشاد من خلال الرسل والكتب المنزلة ، وجميع النّعم التي من حول الإنسان تعود إلى هذه النّعم الثلاثة ، أليس من الواجب أن نشكر الله ﷻ ؟ .

ج- **أنواع الشكر** : الشكر لله ﷻ يكون بالقلب واللسان والعمل ، أما القلب فهو أن يشعر القلب عند كل نعمة إنها من عند الله ﷻ وحده ، فهو الذي تفضل بها ، والمخلوقات ليس إلا واسطة سخرها الله لذلك ، فإذا أخذ الإنسان الدواء وشفي ، فليعلم إن الله وحده هو الذي شفاه ، فهو الذي أعطى العلم للطبيب ، وجعل في مواد الدواء الشفاء ، وأعطى الإنسان العلم والقوة على الاكتشاف ، وإذا لبس الإنسان اللباس فلا ينظر إلى براعة الخياط ، ولكن ليشكر القلب المنعم الحقيقي الذي علم الإنسان ما لم يعلم ، وسخر له الطبيعة لخدمته ، وكذلك مع كل النّعم التي تراه من حولك ، فهي من الله وحده ، فلا يستطيع أي إنسان أن

ينسب أية نعمة إلى نفسه ؟ فسأله من أعطاك العلم ؟ ومن أعطاك القوة ؟ ومن خلق وسخر المواد لك ؟ .

وشكر اللسان يكون بأن يترجم هذا الإحساس القلبي إلى كلام يقوله ، يقول الله ﷻ في ذلك : ﴿ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ * لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نعمةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴾[1] .

وأما الشكر بالعمل يكون من خلال عدم عصيان الله تعالى بنعمه ، فمثلاً شكر نعمة العين من خلال النظر في عجائب صنع الله وأخذ العبر ، والنظر في كل ما يرضي الله تعالى ، وعدم النظر فيما حرم الله تعالى ، وشكر المال يكون من خلال جمعه من الحلال ، وإنفاقه فيما يرضي الله تعالى ، وهكذا مع كل نعمة يتعامل معها ،

---

١) الزخرف : ١٢- ١٣ – ١٤ .

كما يرضي الله ﷻ .

د- ثواب وثمار الشكر : فإذا شكر الإنسان الله ﷻ كما أمره ، فسيكون أمام نتائج وثمار وعده الله ﷻ بها ، منها الزيادة في النّعمة وعدم الحرمان منها ، يقول الله ﷻ : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾[1] .

ومن هذا الثمار أيضا منع العذاب عنه ، يقول الله ﷻ : ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾[2] ، ولكن إذا بدل الإنسان النّعمة من خلال إنكارها ومعصية الله ﷻ بها ، فقد عُرَّض نفسه للحرمان والعذاب ، يقول الله ﷻ : ﴿ وَمَنْ يُبَدِّلْ نعمةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[3] ، ويقول الله ﷻ : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا

---

١) إبراهيم : ٧ .

٢) النساء : ١٤٧ .

٣) البقرة : ٢١١ .

رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنعم اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [1] .

ولكن الواقع الذي عليه الناس ، قليل من هم يشكرون الله ﷻ ، يقول الله ﷻ في ذلك : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾[2] ، ويقول الله ﷻ : ﴿ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾[3] ؛ مع أن الحكمة تقتضي شكر الله ﷻ ؟ فهو المحسن الأوحد ، والمستفيد الوحيد من الشكر هو الإنسان ، يقول الله ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾[4] .

---

١) النحل : ١١٢ .

٢) النمل : ٧٣ .

٣) سبأ : ١٣ .

٤) لقمان : ١٢ .

الوصية الثالثة : إلى الله ﷻ المصير والمرجع : ﴿إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ ﴿ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

ذكر الله ﷻ في أثناء هذه الوصايا إشارتين إلى اليوم الآخرة ، وذلك في الآيات التالية : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تشْرك بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[1] ، هذه الإشارة إلى الآخرة ينبّه الآباء على غرز الإيمان باليوم الآخرة في عقول وقلوب أبنائهم ، حتى يلتزمون بتلك الوصايا .

أ- **ربط الأبناء باليوم الآخر**ة : ويكون ذلك منذ الطفولة الأولى ولها أهمية كبيرة في توجيه الأبناء نحو

---

١) لقمان : ١٤ -١٥ .

الالتزام بكل خير والابتعاد عن كل شر ، وذلك من خلال معرفتهم بحقيقة الموت وهي : " إنّ الموت معناه تغير حال فقط وأن الرّوح باقية بعد مفارقة الجسد إما معذبة وإما منعمة "[1] ، وهناك سؤال وحساب يحاسب عليه الإنسان في الحياة البرزخية ، فإذا لم يكن الإنسان مؤمناً صالحاً ، فإنه سيخسر ذلك النعيم ، ويكون من أهل العذاب – نعوذ بالله من عذابه– وإن الإنسان يوم القيامة أمامه أحداث عظيمة ، لا ينجيه منها إلا العمل الصالح بعد الإيمان ، ويذّكر أبنائه بهذه الأحداث ، التي يكون كل إنسان معها على موعد ، بدءاً من سكرات الموت وأحداثها ، وما بعد نزع الروح من الأحداث ، التي تسعد الأبرار وتشقي الفجار في الحياة البرزخية ، وكذلك أحداث يوم القيامة مثل حشر المخلوقات في أرض جديدة ، وأخذ الكتب ووزن الأعمال ، والوقوف بين يدي الله ﷻ وهو يكلمه بدون حجاب ولا ترجمان ، والمشي على الصراط ، ويذكره بنعيم الجنة وعذاب النار ، ويراجع تفاصيل ذلك وغيرها من الأحداث

---

١) الغزالي ، **إحياء علم الدين** ، ٦ ، ١٣٥.

في كتب العقيدة ليتعلمها حتى يعلم أبنائه [1] .

ب- التذكير بالآخرة في المناسبات المناسبة :

ويذكر أبنائه بهذه الأحداث في المناسبات المناسبة فهذا محمّد إقبال[2] يذكر كيف كان يعظه والده[3] باليوم الآخر

---

١) مثل : كتاب التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للإمام القرطبي ، وكتاب الروح لابن قيم الجوزية ، وكتاب الإيمان بعوالم الآخرة لعبد الله سراج الدين ، وكتاب حقيقة الموت لإبراهيم سينو .

٢) محمد إقبال : شاعر وأديب باكستاني ، ولد (١٨٧٣أو ١٨٧٧) وتوفي (١٩٣٨م) ، عمل محامياً في لاهور ؛ دعا منذ ١٩٣٠ إلى تقسيم الهند إلى دولتين : هندوكية ومسلمة ؛ وتحقق حلمه بعد وفاته في ١٩٤٧ ؛ من مؤلفاته : رسالة المشرق ، وأسرار الذات . راجع [رءوف سلامة موسى ، **موسوعة أحداث وأعلام مصر والعالم** ، القاهرة ، دار المستقبل ، ط١ ، ٢٠٠١ ، [١-٢] ، ٢، ٥٩٢] .

٣) والده الشيخ نور محمد كان متصوفاً وعاملاً كادحاً في سبيل رزقه كما عرف عنه أنه كثير التّردّد على مجالس الصّوفية ورجال العلم ، وكان للشّيخ نور محمد تأثير كبير في ابنه محمد إقبال الذي ظل يحكي عنه قصصاً ونوادر لطيفة تكشف عن الزاد الرّوحي والصّوفي لأبيه ... وتوفي في (١٩٣٠م) أنظر : [محمّد العربي بو عزيزي ، **محمّد إقبال فكره الديني والفلسفي** ، ٦١-٦٤] .

ليحسن تأديبه ، فيقول : " سائل كالقضاء المبرم طرق بابنا طرقاً متوالياً ، فثرت غضباً وضربته بعصاً على رأسه ، فتبعثر ما جمعه بسؤاله ؛ والعقل أيّام الشّباب لا يفرّق بين ضلال وصواب ، ورآني والدي فاغتمّ ، واربد وجه وتأوّه ، وسال الدّمع من عينيه ، واضطربت روحه الفاضلة وطار لبّه ؛ قال أبي : تجتمع غداً أمّة خير البشر ، تجتمع أمام مولاها ويحشر غزاة الملّة البيضاء ، وحكماؤها والشّهداء ، وهو حجّة الدّين وأنجم هذه الأمة والزّهاد ، والوالهون ، والعلماء ، والعصاة ، ويأتي هذا السّائل المسكين ، صائحاً في هذا المحشر شاكياً ؛ فماذا أقول إذا قال لي النّبيّ : إنّ الله أودعك شاباً مسلماً ، فلم تؤدّبه بأدبي ، بل لم تستطع أن تجعله إنساناً ؛ فتمثّل عتاب النّبيّ الكريم ومقامي في خجلي بين الخوف والرّجاء ، تفكر قليلاً يا بني ، اذكر اجتماع أمّة خير البشر ، انظر يا بني إلى شيبي ، واضطرابي وقلقي ، ولا تقس على أبيك ، ولا تفضحه أمام مولاه ، إنك كمّ في غصن المصطفى ، فكن وردة من نسيم

ربيعه ، خذ من ربيعه نصيباً من الريح واللّون ، لا بدّ لك أن تظفر من خلقه بنصيب "[1] .

---

١) محمّد العربي بو عزيزي ، **محمّد إقبال فكره الديني و الفلسفي** ، دمشق ، دار الفكر ، ط١ ، ١٤٢٠/١٩٩٩ ، ٥٥١ ، ٦٣ .

الوصية الرابعة : معرفة الله ﷻ من خلال أسمائه الحسنى : ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾

في هذا المثل يوجه سيدنا لقمان الحكيم أبنه على معرفة بعض أسماء الله تعالى الحسنى ، ليقول له من خلال هذا المثل : إن الله تعالى رقيب يراقب أعمال الناس ، وهو حفيظ لا يضيع عنده شيء من هذه الأعمال ، وحسيب سيحاسب الناس محاسبة عادلة بموازين دقيقة يوم القيامة على الخير والشر مهما صغر ، وأنه عليم قدير ، علمه وقدرته تطول كل أعمال ابن آدم ، وأن كنت لا تشعر بهذه الكيفية لأنه لطيف خبير .

أ- **من ثمار معرفة أسماء الله تعالى الحسنى :** يدفع معرفة أسماء الله تعالى الحسنى الأبناء نحو العمل الصالح وترك المعاصي ، كيف لا ؟ وهو يعلم إن الله ﷻ

معه عليم به يراقبه وسيحاسبه على الخير والشر مهما صغر ، فهذا عالمٌ جليل اسمه : سهل بن عبد الله التَسْتُرِيّ[1] ، يحكي قصته في تأثير غرس مراقبة الله ﷻ فيه ، من خلال علم الله ﷻ به ، يقول سهل بن عبد الله التستري : " كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل ، فأنظر إلى صلاة خالي محمّد بن سوار[2] ؛ فقال لي يوماً ، ألا تذكر الله الذي خلقك ؟ فقلت كيف أذكره ، قال : قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلاث مرات ، من غير أن تحرك به لسانك، الله معي ، الله ناظري ، الله شاهدي ، فقلت ذلك ليالي ، ثم أعلمته ، فقال : قل في كل ليلة سبعة مرات ، فقلت ذلك ، ثم أعلمته ؛ فقال : قل ذلك كل ليلة إحدى

---

١) سهل بن عبد الله بن يونس التستري، أبو محمد: (٢٠٠ – ٢٨٣هـ = ٨١٥ – ٨٩٦ م) أحد أئمة الصوفية وعلمائهم والمتكلمين في علوم الإخلاص والرياضيات وعيوب الأفعال . [الزركلي ، **الأعلام** ، ٣ ، ١٤٣] .

٢) محمد بن سوار البصري ، خال سهل بن عبدالله الزاهد ، من رواة الحديث الشريف قال عنه ابن حجر مقبول . أنظر : [أحمد بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) ، **تقريب التهذيب** ، دار العاصمة ، ١٤١٢ ، ٨٥٢] .

عشر مرة ، فقلته ؛ فوقع في قلبي حلاوته ، فلما كان بعد سنة ، قال لي خالي : احفظ ما علمتك ، ودم عليه إلى أن تدخل القبر فإنّه ينفعك في الدنيا والآخرة ؛ فلم أزل على ذلك سنين ، فوجدت لذلك حلاوة في سري ، ثمّ قال لي خالي يوماً : يا سهل ، من كان الله معه ، وناظرا إليه ، وشاهده ، أيعصيه ؟ إياك والمعصية [1] ؛ بهذه التربية منذ الصغر تربى هذا الطفل ليتخرج منه عالم جليل ، فهذه طريقةٌ لطيفة في تعليم الأبناء لمراقبة الله تعالى لهم .

ضرب الأمثال وقص القصص لها فائدة عظيمة في ترسيخ العقيدة لا يخفى أهميتها ، لذا استعمل لقمان الحكيم ضرب هذا المثل ليعرف ابنه على أسماء الله الحسنى ، ففي فائدة الأمثال يقول الله ﷻ : ﴿ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[2] ، وفي فائدة القصص يقول الله ﷻ : ﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[3] ،

---

١) أبي حامد محمّد الغزالي ، **إحياء علوم الدين** ، ٣ ، ٢٠٣ .

٢) إبراهيم : ٢٥ .

٣) الأعراف : ١٧٦ .

فعلى الآباء والمربين ضرب الأمثال وقص القصص على أبنائهم في ترسيخ العقيدة الصحيحة وغرس الأخلاق النبيلة .

ب- من طرق معرفة أسماء الله ﷻ الحسنى :

من خلال معرفة أسرار الكون ، فالكون هو تجليات لأسماء الله الحسنى ، كلما عرف الأبناء آيات الله ﷻ في الآفاق وفي الأنفس تقربوا إلى الله تعالى أكثر ، ويكون من خلال معرفة سنن أفعال الله ﷻ في عباده ، وقبل كل شيء فهم كتاب الله تعالى ، ففي القرآن الكريم آيات كثيرة عن أسماء الله تعالى الحسنى فعلينا الوقوف عندها ، حتى نزداد معرفة بالله ﷻ ، وهذه بعض الآيات : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾[1] ، ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ

---

١) الأنعام : ٥٩ .

إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[1] ، ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾[2].

---

١) المجادلة : ٧ .

٢) ق : ١٦ .

الوصية الخامسة : أقم الصلاة : ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ ﴾

بعد أن عرّف الآباء أبنائهم بوحدانية الله ﷻ ، ونعمه ، واليوم الأخر ، وأسمائه الحسنى، يكون الأبناء مهيئين للصلاة لله ﷻ ؛ فالصلاة تجعل الأبناء دائما مع الله ﷻ وترسخ المبادئ السابقة في عقول وقلوب الأبناء ؛ وسأقف أولاً عند الأنبياء والصلاة في القرآن الكريم حتى تتبين أهميتها ، وبعدها عند فضائل وثمار الصلاة ، ثم أخيرا عند خطورة ترك الصلاة حتى يعلمها الأباء لأبنائهم ، فمسؤولية بيان مكانة الصلاة في شرع الله ﷻ ، من خلال القرآن الكريم والسنة المطهرة ، حتى يوصي أبنائهم بالالتزام بها ، فيسيرون في سير لقمان الحكيم مع ابنه .

أ-**الأنبياء والصلاة** : الصلاة هي طريق ومنهج للأنبياء ، بين الله ﷻ من خلال آيات كثيرة في كتابه العزيز عن مكانة الصلاة عند هؤلاء الرسل ، فقال الله ﷻ : عن إبراهيم وإسحاق ويعقوب : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً

يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾[1] ، كما كان هدف إبراهيم عليه السلام من إسكان ذريته في مكة المكرمة هو إقامة الصلاة ، يقول الله سبحانه وتعالى على لسان إبراهيم عليه السلام : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾[2] ومدح الله تعالى نبيه إسماعيل عليه السلام بأنه كان يأمر أهله بالصلاة : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا * وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾[3] ، وأمر بها موسى عليه السلام عندما كلمه فقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى * إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾[4] ، وتكلم عيسى عليه السلام في

---

١) الأنبياء : ٧٣ .

٢) إبراهيم : ٣٧ .

٣) مريم : ٤٥ –٥٥ .

٤) طه : ١٣ –١٤ .

المهد بأن الله ﷻ أوصاه بالصلاة : ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾[1] .

وأمر الله ﷻ حبيبه محمّد ﷺ وأمته بالصلاة فقال الله ﷻ : ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾[2] ، وأمر هم بالحفاظ عليها فقال جل جلاله : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾[3] ، وهناك آيات أخرى كثيرة تبين أهمية ومكانة الصلاة ، من هنا نعلم عظيم مسؤولية الآباء نحو أبنائهم في وصيتهم بالصلاة ، وكيف لا ؟ وقد أمر الله ﷻ الآباء بأن يأمروا أبنائهم بالصلاة ويصطبروا عليها ، يقول الله ﷻ : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾[4] ، والرسول ﷺ شدد

---

١) مريم : ٣١ .
٢) العنكبوت : ٤٥ .
٣) البقرة : ٢٣٨ .
٤) طه : ١٣٢ .

على هذا الأمر بالضرب إذا تركوها ، يقول النبي ﷺ : " مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها ، وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع "[1] ، لا بل أمر الرسول ﷺ ربط الأبناء بالصلاة منذ أول لحظة للولادة ؟ من خلال الأذان في أذنهم اليمنى والإقامة في اليسرى .

ب- فضائل وثمرات الصلاة كثيرة ، منها :

١- الصلاة يبعد الإنسان عن الفحشاء والمنكر : يقول الله ﷻ : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾[2] .

---

١) علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري ، **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال** ، ضبطه وفسر غريبه : الشيخ بكري حياني ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤١٣/١٩٩٣ ، [١-١٦] ، ١٦ ، حديث(٤٥٣٢٤) ، ٤٣٩ . [حديث حسن] .

٢) العنكبوت : ٤٥ .

٢- الصلاة تكفر السيئات : يقول الله ﷻ : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [١] .

وقد شبه الرسول ﷺ وهي تمحي الخطايا بنهر يغسل الأوساخ : عن أبي هريرة رضي الله عنه : أنه رسول الله ﷺ يقول : " أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم ، يغتسل فيه كل يوم خمساً ، ما تقول : ذلك يبقي من درنه . قالوا : لا يبقي من درنه شيئاً ، قال : فذلك مثل الصلوات الخمس ، يمحو الله به الخطايا "[٢] .

٣- الصلاة يقوي الإنسان في الشدائد : يقول الله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾[٣] .

---

١) هود : ١١٤ .

٢) البخاري ، **صحيح البخاري** ، مواقيت الصلاة (٩) ، باب : الصلوات الخمس كفارة (٦) ، حديث (٥٢٨) ، ١٢١ .

٣) البقرة : ١٥٣ .

٤- الصلاة من أسباب دخول الجنة : ذكر الله ﷻ في سورة المؤمنون صفات أهل الجنة ، فكان أولها الصلاة، وأخرها الصلاة ، يقول الله ﷻ : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ *.... وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[1] .

ولصلاة فوائد روحية ، ونفسية ، وجسدية ، وصحية ، واجتماعية كثيرة ، وكتب في ذلك أبحاث ، فعلى الآباء أن يثقفوا أنفسهم بها ، لبيانها لأبنائهم حتى يزدادوا إيماناً .

ج- خطورة ترك الصلاة : ترك الصلاة من أسباب دخول النار ، يقول الله ﷻ على لسان أهل الجنة وهم يسألون أهل النار : ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴾[2] ، ويقول الله ﷻ : ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ

---

١) المؤمنون : ١-٢-٩-١٠-١١ .

٢) المدثر : ٤٣ .

خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾[1] ؛ وعن خطورة ترك الصلاة يقول النبي ﷺ : " إن بين الرجل وبين الشّرك والكفر ترك الصلاة "[2] ، ويقول النبي ﷺ : " إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته ، فإن صلحت ، فقد أفلح وأنجح ، وإن فسدت ، فقد خاب وخسر "[3] .

هل تعلم يا أخي ما هي آخر وصية لرسول ﷺ ، وهو في آخر أنفاسه ؟ عن قتادة عن أنس – رضي الله عنهما – قال : كان عامة وصية رسول الله ﷺ حين حضره الموت : " الصلاة وما ملكت أيمانكم ، الصلاة وما ملكت

---

١) مريم : ٥٩ .

٢) أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (٨٧٤/٣٦١) ، **صحيح مسلم** ، اعتنى به أبو صهيب الكرمي ، الرياض ، بيت الافكار الدولية للنشر ، ١٩٩٨/١٤١٩، كتاب الإمارة(٣٣) ، باب : بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة(٣٥) ، حديث(١٣٤)، ٦١ .

٣) الحافظ ابن العربي المالكي ، (٥٤٣هـ) ، **عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي** ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، [١-١٣] ، ٢ ، ٢٠٦ . [حديث حسن] .

أيمانكم ؛ حتى جعل رسول الله ﷺ يغرغر بها صدره ، وما يكاد يفيض بها لسانه " [1] ؛ هل بعد كل هذا نترك أولادنا لا يصلون ؟ ألا ترى إن تركهم لهذه الفريضة هو سبب في عقوق الوالدين ، ومصاحبة قرناء السوء ، واقتراف الفحشاء والمنكر ؟ .

---

١) أحمد بن حنبل ، **المسند** ، ١٩، ٢٠٩ . [حديث صحيح] .

المبحث الثاني

وصايا لقمان الحكيم في علاقة الأبناء مع الوالدين

أولاً : شكر الوالدين .

ثانياً : ثواب بر الوالدين .

ثالثاً : خطورة عقوق الوالدين .

رابعاً : البر بالوالدين بعد موتهما .

يقول الله ﷻ : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تشرك بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[1] .

جاء في تفسير الشيخ الشعراوي[2] : " أهذه وصية من وصايا لقمان لابنه ، أم هي كلام جديد من الله تعالى جاء في سياق كلام لقمان ؟ قالوا : هو من كلام الحق تبارك وتعالى ، بدليل قوله تعالى بعد ذلك : ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تشرك بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ﴾ ،

---

١) لقمان : ١٤ –١٥ .

٢) محمد متولي الشعراوي : فقيه ولغوي مصري ولد (١٥ أبريل ١٩١١) وتوفي (١٧ يونيه ١٩٩٨) تخرج من كلية اللغة العربية بالأزهر في (١٩٤١) ودرس بكلياته المختلفة ٠ وله عشرات الكتب ، منها تفسير القرآن الكريم . [موسى ، **موسوعة أحداث وأعلام مصر والعالم** ، ٢، ٥٩٢] .

ومن التكريم للقمان أن الله تعالى ساق هذه الوصية بعد وصيته لابنه ، فجاءت وكأنها حكاية عنه "[1] .

الوصية للوالدين بالإحسان ذكرت في كتاب الله ﷻ في آيات عدّة ، و في هذه الآية هي وصية شكر الوالدين ؛ فما هو الإحسان الذي قدمه الوالدين إلى الأبناء ؟ حتى يحسن الأبناء بالشكر والإحسان إليهم ، وما هو ثواب ذلك البر والإحسان ؟ وما هو خطورة العقوق وترك الإحسان ؟ حتى يتعلم الأبناء كل ذلك ، فيقومون بالبر بآبائهم .

---

١) محمّد متولي الشعراوي ، **تفسير الشعراوي** ، د.م ، أخبار اليوم ، د.ت ، [١-٢٠] ، ١٩ ، ١١٦٣٨ .

أولاً : شكر الوالدين :

الله ﷻ هو المتفضل على كل إنسان بنعمة : الإيجاد والإمداد والتربية والإرشاد ، ولقد جعل الله ﷻ للوالدين أيضاً حظاً في هذه النّعم الثلاثة على الأبناء ، فجعل ﷻ الوالدين سبباً لإيجاد الأبناء ، وجعلهما سبباً لإمدادهم بالطعام والشراب والعلاج ، وكذلك التربية والإرشاد إلى الخير بقدر معرفتهما ، من هنا كان لزاماً على الأبناء شكر الوالدين والإحسان إليهما ؛ وطاعتهما في المعروف ، وتقديم يد العون في كل ما يحتاجون إليه ، أما إذا أرادا منه شيئاً فيه معصية لله ﷻ فلا يطعهما ، بل يصاحبهما بالمعروف ، حتى وإن كانا مشركين ، يقول الله ﷻ : ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تشرّك بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[1] ، فهذا سيدنا إبراهيم عليه السلام نموذج في مصاحبة أبيه بالمعروف مع

---

١) لقمان : ١٥ .

إن والده مشرك ، فانظر كيف يخاطب أباه بالرفق واللطف واللين وهو يدعوه لعبادة الله وحده إذ قال : ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا * قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾[1] ، فانظر لما أعرض أبوه وهدده بالضرب والطرد ، لم يزد على قوله : ﴿ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾[2] .

وضرب لنا الله ﷻ صورة لهذه الصحبة بالمعروف ، والإحسان إلى الوالدين في كتابه العزيز ، فقال عز من قائل : ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾[3] .

---

١) مريم : ٤٥ –٤٦ .

٢) مريم : ٤٧ .

٣) الإسراء : ٢٣ –٢٤ .

وقد خص القرآن الكريم الأم بذكر أكثر ، لما قدمت الأم من الجهد أكثر ، وخاصة في فترة الحمل والرضاعة ، لذلك نبّه إليها جل جلاله ، بقوله : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾[1] ، وفي الحديث : " جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال : أبوك "[2] ، ذكر الحافظ ابن حجر[3] رحمه الله في

---

١) لقمان : ١٤ .

٢) البخاري ، **صحيح البخاري** ، كتاب الأدب (٧٨) ، باب : من أحق الناس بحس الصحبة (٢) ، حديث (٥٩٧١) ، ١١٥٨ .

٣) ابن حجر العسقلاني (٧٧٣ – ٨٥٢ هـ = ١٣٧٢ – ١٤٤٩ م) أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني ، أبو الفضل ، شهاب الدين ، ابن حجر : من أئمة العلم والتاريخ ؛ أصله من عسقلان (بفلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة ؛ ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث ، ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ ، وعلت له شهرة فقصده الناس للاخذ عنه وأصبح حافظ الإسلام في عصره . [الزركلي ، **الأعلام** ، ١ ، ١٧٨] .

شرح حديث السابق : " قال ابن بَطَّال[1] : مقتضاه أن يكون للأم ثلاثة أمثال ما للأب من البر ، قال : وكان ذلك لصعوبة الحمل ، ثم الوضع ، ثم الرضاع ، فهذه تنفرد بها الأم ، وتشقى بها ، ثم تشارك الأب في التربية ؛ وقد وقعت الإشارة إلى ذلك في قوله تعالى :﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ ، فسوى بينهما في الوصاية ، وخص الأم بالأمور الثلاثة "[2] .

---

١) ابن بطال (٠٠٠ - ٤٤٩ هـ = ٠٠٠ - ١٠٥٧ م) علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال ، أبو الحسن : عالم بالحديث ، من أهل قرطبة ؛ من كتبه شرح "البخاري " . [الزركلي ، **الأعلام** ، ٤ ، ٢٨٥] .

٢) أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني ، (٨٥٢/ ١٤٤٨) ، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري** ، تحقيق عبد القادر شيبة الحمد ، االرياض ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، ط١ ، ١٤٢١ /٢٠٠١ ، [١-١٣] ، ١٠ ، ٤١٦ .

ثانياً : ثواب بر الوالدين :

١- بر الوالدين أعظم من الجهاد : عن عبدالله بن مسعود ، قال : سألت رسول الله ﷺ أي العمل أفضل ؟ قال : " الصلاة لوقتها ؛ قال قلت : ثم أي ؟ قال : بر الوالدين ؛ قال قلت : ثم أي ؟ قال : الجهاد في سبيل الله "[١] .

٢- بر الوالدين يمد في العمر ويزيد في الرزق : عن أنس بن مالك قال : قال رسول ﷺ : " من أحب أن يمد له في عمره ، وأن يزاد له في رزقه ، فليبر والديه وليصل رحمه "[٢] .

٣- بر الوالدين يرزق أبناء أبرار : في الحديث :

---

١) مسلم ، **صحيح مسلم** ، كتاب الإيمان(١) ، باب :بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال (٣٦) ، حديث (١٣٧) ، ٦٢ .
٢) ابن حنبل ، **المسند** ، ٢١ ، ٩٣ . [حديث صحيح] .

" وبروا آباءكم تبركم أبناؤكم "[1] .

٤- بر الوالدين يدخل الجنة : عن أبي هريرة ﷺقال : قال رسول ﷺ : " رغم أنفه ، ثم رغم أنفه ، ثم رغم أنفه ٠ قيل من ؟ يا رسول الله ! قال : من أدرك والديه عند الكبر ، أحدهما أوكليهما ، ثم لم يدخل الجنة "[2] .

---

١) أبي عبالله الحاكم النيسابوري ، **المستدرك على الصحيحين** ، القاهرة ، دار الحرمين ، ط١ ، ١٤١٧/١٩٩٧ ، [١-٥] ، ٤ ، ٢٦٥ . [صحيح الإسناد ، الذهبي : سويد ضعيف] .

٢) مسلم ، **صحيح مسلم** ، كتاب االبر والصلة والآداب (٤٥) ، باب : رغم أنف من أدرك أبويه (٣) ، حديث (٢٥٥١) ، ١٠٣١ .

ثالثاً : خطورة عقوق الوالدين :

١- عقوق الوالدين من الكبائر : عن أبي بكرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ - ثلاثاً - قلنا : بلى يا رسول الله ، قال : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وكان متكئا فجلس ، فقال : ألا وقول الزور وشهادة الزور ، فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت"[١].

٢- استجابة دعاء الوالدين على ولدهما : عن أبي هريرة ﷺ ، قال : قال رسول الله ﷺ : " ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن : دعوة المظلوم ، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده "[٢] .

٣- تعجيل عقوبة العقوق في الدنيا : عن أبي بكرة

---

١) مسلم ، **صحيح مسلم** ، كتاب الإيمان (١) ، باب : بيان الكبائر وأكبرها (٣٨) ، حديث (٨٧) ، ٦٣ .

٢) ابن حنبل ، **المسند** ، ١٦ ، ٤٥٠ . [حديث حسن لغيره] .

ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " كل الذنوب يؤخر الله ما شاء منها إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فإن الله ﷻ يعجله لصاحبه في الحياة قبل الممات "[١] .

٤- عقوبة العقوق في الآخرة : يقول رسول الله ﷺ: " ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة : العاق لوالديه ، والمرأة المترجلة ، والديوث . وثلاثة لا يدخلون الجنة : العاق لوالديه ، والمدمن على الخمر ، والمنان بما أعطى "[٢] .

---

١) أبي عبدالله الحاكم النيسابوري ، **المستدرك على الصحيحين** ، ٤ ، ٢٦٧ . [صحيح الإسناد] .

٢) أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (٣٠٤هـ) ، **السنن** ، حققه وخرج أحاديثه حسن عبد المنعم شلبي ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ٢٠٠١/١٤٢١ ، كتاب الزكاة ، باب المنان بما أعطى (٧١) ، حديث (٢٣٥٤) ، ٦٣ .

رابعاً : البر بالوالدين بعد موتهما :

لا يكون الإحسان بالوالدين في حياتهما فقط ، بل البر بهما يمتد بعد موتهما ، ففي الحديث : أنه جاء رجل من بني سلمة ، فقال : يا رسول الله هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به من بعد موتهما ؟ قال : " نعم الصلاة عليهما ، والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهودهما ، وإكرام صديقهما ، وصلة الرحم الذي لا رحم لك إلا من قبلهما "[١] ؛ وقد صح أن الأموات ينتفعون بالعمل الصالح الذي يهدون لهم الأحياء ، من دعاء واستغفار وصدقة وحج ، وفي الحديث : " إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له "[٢] .

---

١) أبي عبدالله الحاكم النيسابوري ، **المستدرك على الصحيحين** ، ٤ ، ٢٦٥ . [صحيح الإسناد] .

٢) مسلم ، **صحيح مسلم** ، كتاب الوصية (٢٥) ، باب : وصول ثواب الصدقات إلى الميت (٢) ،حديث (١٦٣١) ، ٦٧٠ .

المبحث الثالث

وصايا لقمان الحكيم في علاقة الأبناء مع الناس

الوصية الأولى : اتبع سبيل من أناب إلى الله ﷻ .

الوصية الثانية : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

الوصية الثالثة : الصبر .

الوصية الرابعة : لا تتكبر .

الوصية الخامسة : ولا تمش في الأرض مرحاً .

الوصية السادسة : التواضع .

الوصية السابعة : واغضض من صوتك .

الوصية الأولى : أتبع سبيل من أناب إلى الله ﷻ : ﴿ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾

إتباع سبيل من أناب هو الاقتداء بسيرة المنيبين لله ، وهم : الرسل والأنبياء والصديقين والصالحين ، وجاء هذا الأمر ، بعد ما نهى الله ﷻ الأبناء من طاعة الوالدين المشركين في إتباع سبيل المشركين ، وذلك في قول الله ﷻ : ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تشرّك بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (١) .

أ- الاقتداء بسيرة الرسول محمّد ﷺ : فمن مسؤولية الآباء أن يوجهوا أبنائهم بالاقتداء بسيرة المنيبين لله تعالى ، وعلى رأس هؤلاء المنيبين محمّد ﷺ ، فهو القدوة الحسنة الذي أمرنا أن نتبع سبيله ، يقول الله ﷻ : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ

---

١) لقمان : ١٥ .

وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [1] ، ولتحقيق هذا الهدف ؟ يجب أن يكون الآباء هم القدوة الحسنة لأبنائهم ، من خلال التحلي بأخلاق النبي محمّد ﷺ حتى يقتدي بهم الأبناء ؛ فالأبناء في الصغر يقلدون الآباء والمربين ، وينطبعون بطباعهم ، ويتأثرون بأخلاقهم وصفاتهم ، أكثر من تأثرهم بما يسمعونه من النصائح والدروس ، فكيف ينهي والد ولده عن رفع الصوت في البيت مثلاً ؟ وهو يرفع صوته بالسباب والشتائم والصياح في البيت ! .

ب- اختيار الصديق الصالح : وما يعين أيضاً في سير سبيل الصالحين والاقتداء برسول الله ﷺ ، هو حث الآباء لأبنائهم في اختيار الصديق الصالح ، وقد أمرنا الله ﷻ بذلك : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾[2] ، فإذا لم يكن الإنسان مع الصادقين كان مع الكاذبين ، وقد قيل الصاحب ساحب ، وقال رسول الله ﷺ : " المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من

---

١) الأحزاب : ٢١ .

٢) التوبة : ١١٩ .

يخالل "[1] ؛ فيرفع قدر المصاحب بقدر صاحبه ، وفي قصة أهل الكهف عبرة على ذلك ؟ أنه لما رافق كلب شباباً صالحين ، خلد اسم هذا الكلب وذكر أربع مرات ، وذلك في الآيات : ﴿ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ﴾[2] ، ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾[3] .

ج – التربية من خلال القصص : وما يساعد في سير سبيل المنيبين أيضاً ؟ ذكر قصص الأنبياء والصحابة والعلماء والمصلحين وكل من قدم لبشرية الخير ، على الأبناء منذ طفولتهم ، فلها دور مهم في تكوين شخصيتهم الصالحة وتعلقهم بالاقتداء بالصالحين ، ولا يخفى دور

---

١) أبي عبالله الحاكم النيسابوري ، **المستدرك على الصحيحين** ، ٤ ، ٢٨٥ . [صحيح] .

٢) الكهف : ١٨ .

٣) الكهف : ٢٢ .

وسائل الإعلام في تكوين شخصية الأبناء ، فهم أكثر الأوقات منذ الطفولة ينهلون منها ، فلا بد للوالدين أن يختاروا ما يناسبهم ، لما لها دور مهم في اختيار القدوات .

الوصية الثانيـة : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ ... ﴾

يقول الله ﷻ : ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[1] ، فما تعريف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ وما آدابه ؟ وما ثمراته ؟ وما خطورة تركه ؟ حتى تتبين أهمية هذه الوصية التي وصى لقمان الحكيم ابنه ، وحتى تتبين مسؤولية الآباء في أمر أولادهم بها .

أ- تعريف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

المعروف : اسم لكل فعل يعرف حسنه بالعقل أو الشرع ، وهو خلاف المنكر[2] ، والمنكر : كل ما تحكم العقول

---

١) آل عمران : ١٠٤ .

٢) إبراهيم مصطفى – وآخرون ، **المعجم الوسيط** ، تحقيق : مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، دار الدعوة ، [١-٢] ، ١، ٥٩٥ .

الصحيحة بقبحه أو يقبحه الشرع أو يحرمه أو يكرهه[١] ؛ "والأمر بالمعروف في اصطلاح الفقهاء : هو الأمر بإتباع محمّد ﷺ ودينه الذي جاء به من عند الله ؛ والنهي عن المنكر في الاصطلاح : طلب الكف عن فعل ما ليس فيه رضا الله تعالى "[٢] .

وذكر العلماء أمثلة عن المعروف : كالتخلق بالأخلاق الفاضلة والعفو عند المقدرة ، والإصلاح بين المتخاصمين وإيثار الآخرة على الدنيا ، والإحسان إلى الفقراء والمساكين ، وإقامة المعاهد والملاجئ والمستشفيات ونصرة المظلوم والتسوية بين الخصوم في الحكم، والدعوة إلى الشورى ، والخضوع لرأي الجماعة وتنفيذ مشيئتها ، وصرف الأموال العامة في مصارفها ، إلى غير ذلك .

---

١) المصدر نفسه ، ٢ ، ٩٥٢ .

٢) وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية– الكويت ، **الموسوعة الفقهية الكويتية** ، ٦ ، ٢٤٦ .

في بيان أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقول الإمام الغزالي[1] : " الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين ، وهو المهمة الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين ، ولو طوي بساطه وأهمل علمه وعمله ، لتعطلت النبوة ، واضمحلت الديانة ، وعمت الفترة ، وفشت الضلالة ، وشاعت الجهالة ، واستشرى الفساد ، واتسع الخرق وخربت البلاد ، وهلك العباد "[2] ؛ أما عن حكمه : يقول الإمام النووي[3] : " ثم إن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فرض كفاية ، إذا قام به بعض الناس سقط الحرج عن الباقين ، وإذا تركه الجميع ، أثم كل من تمكن منه بلا عذر ولا خوف ، ثم أنه

---

١) سبق ترجمته ، ص ٨ .

٢) أبي حامد محمّد الغزالي ، **إحياء علوم الدين** ، ٣ ، ٤ .

٣) النَّوَوِي : (٦٣١ – ٦٧٦ هـ = ١٢٣٣ – ١٢٧٧ م) يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني ، النووي ، الشافعيّ ، أبو زكريا ، محيي الدين : علامة بالفقه والحديث ؛ مولده ووفاته في نوا (من قرى حوران ، بسورية) واليها نسبته ؛ من كتبه : المنهاج في شرح صحيح مسلم ؛ ورياض الصالحين من كلام سيد المرسلين . راجع : [الزركلي ، **الأعلام** ، ٨ ، ١٤٨] .

قد يتعين كما إذا كان في موضع لا يعلم به إلا هو ، أو لا يتمكن من إزالته إلا هو ، وكمن يرى زوجته أو ولده أو غلامه على منكر أو تقصير في المعروف "[١].

ب- آداب الأمر بالمعروف النهي عن المنكر :

إن الأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، هو دعوة الناس إلى سبيل الله ﷻ ، ألا وهو الالتزام بالإسلام ، وقد بيّن الله ﷻ آداب الدعوة في قول الله ﷻ : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [٢] ، فنحن أمام **ثلاثة آداب** وهي :

١ - **الحكمة :** وهي العمل بالعلم[٣] ، إذ يجب أن

---

١) يحيى ابن شرف النووي الدمشقي(٦٧٦هـ) ، **صحيح مسلم بشرح النووي** ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، ط٢ ، [١-١٨] ، ٢ ، ٢٣ .

٢) النحل : ١٢٥.

٣) الرازي ، **تفسير الفخر الرازي** ، ٢٥ ، ١٤٦ .

يعلم الداعي إلى المعروف والناهي عن المنكر ، ما هو المعروف ، ليأمر به ، وما هو المنكر ، لينكره ، وأن يعلم ألا يحدث بأمره ونهيه منكراً أكبر من المنكر الذي يريد تغييره ، وأن يكون حكيماً في اختيار الوقت والمكان المناسب عند الأمر والنهي .

قال القرطبي[1] عن الحديث المروي عن رسول الله ﷺ : " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان" [2] : " قال العلماء : الأمر بالمعروف باليد على الأمراء ، وباللسان على العلماء ، وبالقلب على الضعفاء، يعني عوام

---

١) القرطبي (٠٠٠ – ٦٧١ هـ = ٠٠٠ – ١٢٧٣ م) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي ، أبو عبد الله ، القرطبي : من كبار المفسرين ؛ صالح متعبد ؛ من أهل قرطبة ؛ رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب (في شمالي أسيوط ، بمصر) وتوفي فيها ؛ من كتبه : الجامع لأحكام القرآن ؛ [الزركلي ، **الأعلام** ، ٥ ، ٣٢٢] .

٢) مسلم ، **صحيح مسلم** ، كتاب الإيمان(١) ، باب :بيان كون النهي عن النكر من الإيمان (٢٠) ، حديث (٧٨) ، ٥١ .

الناس"[1] ، ولكن هذا لا يكون على الإطلاق ؟ لأن الحديث ربط الأمر والنهي بالاستطاعة ، ودوائر الاستطاعة ، من قوة السلطان والعلم والإيمان ، تختلف من شخص إلى آخر ، فكل حسب حدوده ، ولكن إن لم ينكرها بقلبه فليخف على إيمانه .

٢- **الموعظة الحسنة** : وهي تذكير الإنسان بما يلين قلبه ، من الثواب والعقاب بالحسنى واللين والرفق ، لأن التشنج والانفعال قد يسبب إخفاقاً في إنكار المنكر ، بل قد يؤدي إلى مضاعفته واتساع دائرته .

٣- **المجادلة بالحسنى** : وهي المجادلة التي تقيم الحجة بالدليل والبرهان ، ولا تورث الوحشة بينك وبين من تدعوه إلى الخير .

---

١) أبو عبد الله محمّد بن أحمد القرطبي (٦٧١هـ) ، **الجامع لأحكام القرآن** ، المحقق : هشام سمير البخاري ، دار عالم الكتب ، الرياض ، ١٤٢٣ / ٢٠٠٣ ، [١-٢٠] ، ٤ ، ٤٩ .

جاء في التفسير عن هذه الأساليب الثلاثة : " فالأولى لدعوة خواص الأمة الطالبين للحقائق ، والثانية لدعوة عوامهم ، (وجادلهم) وجادل معانديهم (بالتي هي أحسن) بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين وإيثار الوجه الأيسر والمقدمات التي هي أشهر فإن ذلك أنفع في تسكين لهبهم وتبيين شغبهم "[1] .

ج- فضائل وثمرات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثيرة ، منها :

١- من صفات المؤمنين : يقول الله ﷻ : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[2] .

---

١) عبد الله بن عمر البيضاوي (٦٩١هـ) ، **تفسير البيضاوي** ، بيروت ، دار الفكر ، [١-٥] ، ٣ ، ٤٢٧ .

٢) التوبة : ٧١ .

٢- من أسباب خيرية هذه الأمة : يقول الله ﷻ : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[١] .

٣- من أسباب النصر : يقول الله ﷻ : ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾[٢] .

٤- من أسباب النجاة : يقول الله ﷻ : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾[٣] .

---

١) آل عمران : ١١٠ .

٢) الحج : ٤٠-٤١ .

٣) الأعراف : ١٦٥ .

د- خطورة ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

١- من صفات المنافقين : يقول الله ﷻ : ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[١] .

٢- من أسباب اللعن والإبعاد من رحمة الله : يقول الله ﷻ : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾[٢].

٣- من أسباب نزول البلاء والعذاب : يقول

---

١) التوبة : ٦٧ .

٢) المائدة : ٧٨ -٧٩ .

الرسول ﷺ : " إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه "[1] .

٤- من أسباب عدم استجابة الدعاء : يقول الرسول ﷺ : " والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم "[2] .

هـ- خطورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعدم العمل به : يقول الله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾[3] ، ويقول النبي ﷺ : " يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار ، فتندلق أقتاب بطنه ، فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى ، فيجتمع إليه أهل النار ، فيقولون : يا

---

١) ابن حنبل ، **المسند** ، ١ ، ٢٠٨ . [إسناده صحيح على شرط الشيخين] .

٢) بن حنبل، **المسند** ، ٣٨، ٣٥٢ . [حديث حسن لغيره] .

٣) الصف : ٢ -٣ .

فلان ما لك ؟ ألم تك تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقول : بلى ، كنت آمر بالمعروف ولا آتيه ، وأنهى عن المنكر وآتيه "[1] .

إن ثقافة الأمر بالمعرف والنهي عن المنكر عندما نوصي بها الأبناء ، فإننا نوجههم إلى الالتزام بها ضمنياً أولاً ، وبهذا نكون قد دربناهم على تحمل المسؤولية ، منذ بداية طفولتهم الأولى ، حتى يكون قادرين على قيادة المجتمع نحو الخير في المستقبل .

ولكن إنّ الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر معّرض للأذى ، لأن طريق هذا الخلق ليس سهلاً ، بل فيها مصاعب جمة ، فمن لم يتسلح بالصبر ، فمن الصعب أن يكمل المشوار ، لذا جاءت الوصية التالية بعدها بالصبر .

---

١) مسلم ، **صحيح مسلم** ، كتاب الزهد والرقائق (٥٣) ، باب :عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله (٧) ، حديث (٢٩٨٩) ، ١١٩٧ .

الوصية الثالثة : الصبر : ﴿ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾

الصبر من أمهات الأخلاق ، يقول النبي ﷺ : " ما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر "[1] ، ولقد ورد الصبر في القرآن الكريم أكثر من ٩٠ موضعاً ، و هذا لم يحدث مع أي خلق آخر! فما هو الصبر ؟ وما أنواعه ؟ وما ثوابه ؟ حتى تتبين لأبناء ، فيندفعوا لتحلي بهذا الخلق العظيم الذي أوصى لقمان ابنه .

أ- **تعريف الصبر** : الصبر لغة : " الحبس وكل من حبس شيئا فقد صبره "[2] ، والصبر : " قوة خلقية من قوى الإرادة ، تمكّن الإنسان من ضبط نفسه لتحمّل المتاعب والمشقات والآلام ، وضبطها عن الاندفاع بعوامل

---

١) البخاري ، **صحيح البخاري** ، كتاب الزكاة (٢٤) ، باب : الاستعفاف عن المسألة (٥٠) ، حديث (١٤٦٩) ، ٢٨٧ .

٢) ابن منظور ، **لسان العرب** ، ٤ ، ٢٣٩١.

الضجر والجزع ، والسأم والملل ، والعجلة والرعونة ، والغضب والطيش ، والخوف والطمع ، والأهواء والشهوات والغرائز "[1] .

الصبر متغلغل في حياة البشر جميعاً ، فالإنسان دائماً يحتاج إلى الصبر ولا يستغني عنه في أية حال ، ويشرح الإمام أبي حامد الغزالي[2] هذه الحقيقة فيقول : " أعلم أن جميع ما يلقى العبد في هذه الحياة لا يخلو من نوعين : أحدهما هو الذي يوافق هواه ؛ والآخر هو الذي لا يوافقه بل يكرهه وهو محتاج إلى الصبر في كل واحد منهما ، وهو في جميع الأحوال لا يخلو عن احد هذين النوعين أو عن كليهما ، فهو إذن لا يستغنى قط عن الصبر .

النوع الأول : ما يوافق الهوى وهو الصحة

---

١) عبد الرحمن حبنكة الميداني ، **الأخلاق الإسلامية وأسسها** ، دمشق ، دار القلم ،١٤٢٠/١٩٩٩ ، [١-٢] ، ٢ ، ٣٠٥ .

٢) سبق ترجمته ، ص ٨ .

والسلامة والمال والجاه وكثرة العشيرة واتساع الأسباب وكثرة الأتباع والأنصار وجميع ملاذ الدنيا ، وما أحوج العبد إلى الصبر على هذه الأمور، فإنه إن لم يضبط نفسه عن الاسترسال والركون إليها والانهماك في ملاذها المباحة منها أخرجه ذلك إلى البطر والطغيان فإن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ...

النوع الثاني : ما لا يوافق الهوى والطبع ، ...، فإذن حقيقة الصبر وكماله الصبر عن كل حركة مذمومة ، وحركة الباطن أولى بالصبر عن ذلك ، وهذا صبر دائم لا يقطعه إلا الموت نسأل الله حسن التوفيق بمنه وكرمه "[1] .

ب- أنواع الصبر : الله ﷻ خلق الإنسان في هذه الحياة ليبتليه ويمتحنه ، وتتنوع هذه الابتلاءات والامتحانات في الدنيا ، ولا نجاح فيها إلا بالصبر ، يقول ﷻ : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ

---

١) أبي حامد محمّد الغزالي ، **إحياء علوم الدين** ، ٤ .

وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾[1] ، فالله ﷻ امتحن الإنسان بالمصائب والشهوات والطاعات ، لذا نجد **ثلاثة أنواع من الصبر** :

النوع الأول : الصبر على المصائب : يقول الله ﷻ : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾[2] وقدوة الصابرين في هذا الجانب هو سيدنا أيوب عليه السلام فقد ابتلي بذهاب الصحة والمال والأولاد ، ولكنه صبر على ذلك يقول الله ﷻ في مدحه : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نعم الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾[3] ، ومن شروط الصبر على المصائب ، الصبر عند الصدمة الأولى ، و هو الذي يملك انفعالاته ولا يطلق لنفسه العنان لتفعل ما تخالف الشرع ، يقول الرسول ﷺ : " إنما الصبر عند الصدمة الأولى "[4] ، بل يقول ما علمنا

---

١) آل عمران : ١٤٢ .

٢) البقرة : ١٥٥ .

٣) ص : ٤٤ .

٤) البخاري ، **صحيح البخاري** ، كتاب الجنائز (٢٣) ، باب : زيارة القبور (٣٢) ، حديث (١٢٨٣) ، ٢٥٠ .

الرسول ﷺ ، ففي الحديث يقول النبي ﷺ : " ما من عبد تصيبه مصيبة ، فيقول : إنا لله وأنا إليه راجعون ، اللهم آجرني في مصيبتي ، واخلفني خيرا منها ، إلا أجره الله في مصيبته ، وخلف له خيرا منها "[1] .

النوع الثاني : الصبر عن الشهوات : يقول الله ﷻ : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ [2] ، شهوات الدنيا متنوعة ، وامتحن الإنسان فيها بأن لا يقربها بما يخالف الشرع ، ولكن هذه الشهوات إذا تناولها الإنسان من خلال قنوات شرعية ، فهي من النّعم التي أنعم الله تعالى بها على الإنسان وهي غير محرمة ، يقول الله ﷻ : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

---

١) ابن حنبل ، **المسند** ، ٤٤ ، ٢٤٧. [إسناده صحيح على شرط مسلم] .

٢) آل عمران : ١٤ .

خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تشّركوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1] ، والقدوة في الصبر على الشهوات المحرمة هو سيدنا يوسف عليه السلام عندما امتنع عن شهوة النساء مع امرأة عزيز مصر ، وصديقاتها ، لأنها جاءته في طريق غير مشروع .

النوع الثالث : الصبر على الطاعات : يقول الله ﷻ : ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾[2] ، والقدوة في ذلك سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل- عليهما السلام – حينما رأى إبراهيم عليه السلام في المنام أن الله ﷻ يأمره بذبح ابنه إسماعيل عليه السلام ، فامتثل هو وابنه لطاعة الله ﷻ صابرين ، يقول الله ﷻ في ذلك : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا

---

١) الأعراف : ٣٢ – ٣٣ .

٢) مريم : ٦٥ .

تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾[1] ؛ وأعظم درجات الصبر على الطاعات ؟ أن تصبر عما يصيبك في سبيل الله ، وهو مقام جميع الأنبياء ، يقول الله ﷻ لرسوله محمّد ﷺ : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[2] .

فكان الرسول ﷺ هو قدوة الصابرين في تحمل ما أصابه في سبيل الدعوة إلى الله ﷻ ، يقول النبي ﷺ : " لقد أخفت في الله وما يخاف أحد ، ولقد أوذيت في الله وما يؤذي أحد ، ولقد أتت علي ثلاثون من بين يوم وليلة ومالي ولا لبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه إبط بلال "[3] .

---

١) الصافات : ١٠٢ .

٢) الأحقاف : ٣٥ .

٣) ابن حنبل ، **المسند** ، ٢١ ، ٤٤٣ . [إسناده صحيح على شرط مسلم] .

وهذا النوع من الصبر يقصده لقمان الحكيم في وصيته لابنه ، فهي حقاً من عزم الأمور ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ .

ج- ثواب الصبر : فيما يلي بعض ثواب الصبر ، نحفز بها الأبناء على التحلي بهذا الخلق ، بعد ما عرفنا حقيقة الصبر ، فمن ثواب الصبر :

١- معية الله تعالى للصابرين : يقول الله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[١] .

٢- محبة الله تعالى للصابرين : يقول الله ﷻ : ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾[٢] .

---

١) البقرة : ١٥٣ .

٢) آل عمران : ١٤٦

٣- الصلوات والرحمة من الله تعالى للصابرين :

يقول الله ﷻ : ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾[١] .

٤- الوعد بالفلاح : يقول الله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[٢] .

٥- الجزاء بغير حساب : يقول الله ﷻ : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[٣] .

٦- دخول الجنة : يقول الله ﷻ : ﴿ وَجَزَاهُمْ بِمَا

---

١) البقرة : ١٥٦ -١٥٧.

٢) آل عمران : ٢٠٠.

٣) الزمر : ١٠ .

صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾[1] .

---

١) الإنسان : ١٢ .

الوصية الرابعة : لا تتكبر : ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾

هذه وصية أخرى للقمان الحكيم لابنه وهي عدم التعالي والتكبر عن الناس ، فما الكبر ، وما خطورته ، وما أسبابه ، وما علاماته ومظاهره ، وما علاجه ؟ حتى تتبين للأبناء فيبتعدوا عن هذا الخلق الذميم .

أ- **تعريف الكبر** : الكِبْرُ بالكسر وهو العظَمة[1] ؛ والكبر : " هو ظن الإنسان بنفسه أنه أكبر من غيره ، والتكبر إظهار لذلك ، وصفة المتكبر ، لا يستحقها إلا الله تعالى ، ومن ادعاها من المخلوقين فهو فيها كاذب ، ولذلك صار مدحا في حق الباري ﷻ وذما في البشر ، وإنما شرف المخلوق في إظهار العبودية "[2] ؛ وفي الحديث

---

١) ابن منظور ، **لسان العرب** ، ٥ ، ٣٨٠٧ .

٢) وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية- الكويت ، **الموسوعة الفقهية الكويتية** ، ٢٩، ٢٨٠ .

يقول النبي ﷺ عن حقيقة الكبر : " الكبر : بطر الحق وغمط الناس "[١] ؛ " بطر الحق : هو دفعه وإنكاره ترفعا وتجبرا ، وغمط الناس : عناه احتقارهم "[٢] .

ب – خطورة الكبر : الكبر من أسباب دخول الإنسان النار في الآخرة ، يقول الله ﷻ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[٣] ، وفي الحديث يقول النبي ﷺ : " لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ، فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ، ونعله حسنة ؟ قال : إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس "[٤] ، أما خطورة الكبر في الدنيا فتكمن من نتائج الكبر على الفرد

---

١) مسلم ، **صحيح مسلم** ، كتاب الإيمان(١) ، باب :تحريم الكبر وبيانه (٣٩) ، حديث (١٤٧) ، ٦٣ .

٢) النووي ، **صحيح مسلم بشرح النووي** ، ٢ ، ٢٣ .

٣) غافر : ٦٠ .

٤) مسلم ، **صحيح مسلم** ، كتاب الإيمان(١) ، باب : تحريم الكبر وبيانه(٣٩) ، حديث (١٤٧) ، ٦٣ .

والمجتمع ، فالكبر يدفع الإنسان لرفض الحق وتحقير الناس ، فيكون هذا سبب للفساد وأكل حقوق ، لا بل حتى قتل الناس وإشعال نيران للحروب ؛ وهذه النتائج تتناسب مع درجة كبر الإنسان ، ومع موقع القوة التي هو فيه ، من جاه أو مال أو منصب .

ج – **أسباب الكبر** : يقول الله ﷻ : ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى ﴾[1] ، إذا خيل للإنسان ، أنه استغنى وتميز بمال أو منصب أو جاه أو حسب أو شهادة أو حتى عبادة أو غيرها عن الآخرين ، فيكون ذلك سبب لتكبر صاحب النفس المريضة ، ونجد هذه الحقيقة عندما تكبر إبليس – لعنه الله تعالى – عن طاعة الله ﷻ في السجود لآدم عليه السلام ، لأنه وجد نفسه مميز عن آدم عليه السلام، يقول الله ﷻ : ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾[2] .

---

١) العلق : ٦ – ٧ .

٢) ص : ٧٥ – ٧٦ .

د – علامات مرض الكبر وبعض مظاهره : من تعريف الكبر الذي عرفه النبي ﷺ تجد علامات مرض الكبر ، وهو إن يثقل في نفس الإنسان سماع الحق فيرفضه ، وإن ينظر إلى غيره بعين الاحتقار ؛ وهناك بعض مظاهر لهذا المرض الخطير ذكرها العلماء منها : " كالاختيال ، والتعاظم في الجسم ، والتنطع في القول ، والإعراض عن مخاطبة الذين يراهم دونه ، والصلف وتصعير الخدّ بإمالة العنق على سبيل الشموخ وتجميع عروق الرقبة وجعلها تنتصب إلى الأعلى ، وجرّ الثوب عند المشي ، ولفّ الرجل على الرجل إذا جلس على كرسيّه ، مع توجيه نعله أو أسفل قدمه إلى وجوه جلسائه ، وعدم تثبيت نظره تجاههم ، بالتشاغل عنهم بأمور بين يديه لا تعنيه ولا غرض له منها إلا الانصراف والإعراض عنهم تكبراً "[1] .

هـ– علاج الكبر : العلاج هو معرفة الله ﷻ

---

١) عبد الرحمن حبنكة الميداني ، **الأخلاق الإسلامية وأسسها** ، دمشق ، دار القلم ،١٤٢٠/١٩٩٩ ، [١–٢] ، ٢ ، ٥٥٦ .

وأسمائه الحسنى ، عندها يعلم إن الكبرياء لا يليق إلا بالله ﷻ ، يقول الله ﷻ في الحديث القدسي : " العز إزاري ، والكبرياء ردائي ، فمن ينازعني عذبته "[1] ، ثم يعرف الإنسان حقيقة نفسه ، فهو مخلوق ضعيف ، يزعجه ذبابة ، ويمرضه فيروس بل يقتله ، وقد خلق من نطفة ، ويصير عند الموت جيفة ، وهو فيما بين ذلك يحمل العَذرة ؛ هذا الإنسان الضعيف لا يملك من أمر وجوده شيء ، فكل ما خيل إليه من النّعم أنه يملكها فهي بيد الله ﷻ إذا شاء أخذه منه ، فروحه وصحته وماله وأولاده وأهله وعلمه وجاهه ... بيد الله ﷻ ، فعليه أن يشكر الله عليها ولا يتكبر بها حتى يزيده ﷻ منها ولا يعاقبه بالحرمان منها ، فهو القائل جل جلاله : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾[2] ، ومن ثم يتفكر الإنسان بالموت وما بعده ، فعقوبة الكبر خطيرة في الآخرة ، في الحديث الشريف يقول النبي ﷺ : " يحشر

---

١) مسلم ، **صحيح مسلم** ، كتاب البر والصلة والآداب (٤٥) ، باب : تحريم الكبر (٣٨) ، حديث (٢٦٢٠) ، ١٠٥٣ .

٢) إبراهيم : ٧ .

المتكّبرون يوم القيامة أمثال الذّرّ ، في صور الناس ، يعلوهم كل شيء من الصّغار ، حتى يدخلوا سجنا في جهنم ، يقال له : بولس ، فتعلوهم نار الأنيار ، يسقون من طينة الخبال ، عصارة أهل النار "[1] .

---

١) ابن حنبل ، **المسند** ، ١١ ، ٢٦٠ . [إسناده حسن] .

الوصية الخامسة : ولا تمش في الأرض مرحاً : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾

أ- **تعريف المرح** : المرح لغة : شدة الفرح أو النشاط والعجب والاختيال وفي التنزيل العزيز : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ﴾[1] "[2] .

إذاً المرح من معانيه العجب ، وحقيقة العجب : " العجب فرحة في النفس بإضافة العمل إليها وحمدها عليه ، مع نسيان أن الله تعالى هو المنعم به ، والمتفضل بالتوفيق إليه ، ومن فرح بذلك لكونه منة من الله تعالى

---

١) لقمان : ١٨ .

٢) إبراهيم مصطفى- وآخرون ، **المعجم الوسيط** ، دار الدعوة ، [١-٢] ، ٢ ، ٨٦١ .

واستعظمه ، لما يرجو عليه من ثوابه ، ولم يضفه إلى نفسه ، ولم يحمدها عليه ، فليس بمعجب "[1] .

الذي يمشي في الأرض مرحاً ، هو الذي أعجبته نفسه ، بما خيل إليه أنه يملك النّعم التي تطوف من حوله ، كنعمة العلم أو المال أو الجمال أو القوة أو غيرها ، فينسب هذه النّعم إلى نفسه ، بأنه أكتسبها بقدرته وعلمه ، ولا ينسبها إلى الله ﷻ المتفضل عليه ، فيعتمد على هذه الأسباب التي من حوله ظننا أنها تنصره ، كما طاف هذا المرض في نفوس بعض الصحابة رضوان الله تعالى عليهم عندما أعجبتهم كثرتهم في غزوة حنين فاعتمدوا عليها ، وظنوا أنها تنصرهم و قالوا لن نغلب من قلة ، فأدبهم الله ﷻ على ذلك .

ب – خطورة العجب : العجب من أسباب الهزيمة في الدنيا ، يقول الله ﷻ : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ

---

١) وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية– الكويت ، **الموسوعة الفقهية الكويتية** ، ٢٩، ٢٨٠ .

كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴾ [1] ، والعجب من أسباب العذاب في الحياة البرزخية ، يقول النبي ﷺ : " بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه ، مرجل رأسه ، يختال في مشيته ، إذ خسف الله به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة "[2] ، وتكمن خطورة العجب في آثاره الكثيرة ، فمنها : إن العجب يؤدي إلى الكبر وكفى به آفة ، و يؤدي إلى الغرور ، ويؤدي أن يحمد نفسه ويثني عليها ويزكيها برأيه وإن كان خطأ ، ويؤدي إلى نسيان الذنوب وإرجاء التوبة ، ويؤدي إلى التقليل من الطاعات والتقصير فيها ، ويجملها ابن عطاء الله السكندري[3] في حكمته ، فيقول : " أصل كل معصية وغفلة وشهوة ،

---

١) التوبة : ٢٥ .

٢) البخاري ، **صحيح البخاري** ، كتاب اللباس (٧٧) ، باب : من جر ثوبه خيلاء (٥) ، حديث (٥٧٨٩) ، ١١٣٢ .

٣) ابن عطاء الله السكندري(٠٠٠ – ٧٠٩ هـ = ٠٠٠ – ١٣٠٩ م) أحمد بن محمد بن عبد الكريم ، أبو الفضل تاج الدين ، ابن عطاء الله السكندري : متصوف شاذلي ، من العلماء . [الزركلي ، **الأعلام** ، ١ ، ٢٢٢] .

الرضا عن النفس ؛ وأصل كل طاعة ويقظة وعفة ، عدم الرضا منك عنها ، ولأن تصحب جاهلاً لا يرضى عن نفسه خير لك من أن تصحب عالماً يرضى عن نفسه ؛ فأي علم لعالمٍ يرضى عن نفسه ؟ وأي جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه ؟ "[1] .

ج- **علاج العجب** : هو نفس ما ذكر في علاج الكبر ، فإذا عرف الإنسان ربه وعذابه في الآخرة ، وعرف حقيقة نفسه ، أنه مخلوق ضعيف ، علم أنه لا يناسبه إلا التواضع والتذلل بين يدي خالقه ﷻ ، وقد نبّه الله ﷻ إلى ذلك في قوله : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾[2] أي أنت أيها المتكبر المختال المعجب بنفسه : ضعيف حقير عاجز محصور بين جمادين ! أنت عاجز عن التأثير فيهما ، فكيف تتكبر

---

١) محمّد سعيد رمضان البوطي ، **الحكم العطائية شرح وتحليل** ، دمشق ، دار الفكر ، ط١ ، ١٤٢٢/٢٠٠١ ، [١-٥] ، ٢ ، ٦٧ .

٢) الإسراء : ٣٧ .

وتعجب بنفسك فتمشي مرحا ، فأنه لا يليق بك إلا التواضع والاستجابة لأمر الله ﷻ .

وأن يعلم الإنسان المعجب بنفسه بأن جميع ما يملك من الكمال إنما هو نعمة من الله وفضل ، أعطاه ليبتليه ويمتحنه ، وهي ليس من عنده ، فسئل نفسك من أعطاك العقل والعلم والقوة وسخر لك الأسباب وأيدك بتوفيق منه ؟ أليس الله ﷻ ؟ فكيف تعجب بشيء ليس لك فضل فيه ؟! فإذا عرفت ذلك حق المعرفة انقطع عرق العجب منك المنشأ من الجهل ، وبادرت بالشكر لله ﷻ وتركت المشي في الأرض مرحاً .

الوصية السادسة : التواضع : ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾

بعد نهي لقمان الحكيم ابنه عن الكبر والعجب والمشي في الأرض مرحاً ، أمره بالتواضع ، فما التواضع ، وما أهميته ، ومن القدوة في ذلك ؟ حتى نرشد إليها أبنائنا فيتحلوا بهذا الخلق ، فنكون قد قمنا بطرف من مسؤوليتنا نحوهم .

أ- **تعريف التواضع** : التواضع : عدم التكبر والتعاظم [1] ، والتواضع : " هو انكسار القلب لله وخفض جناح الذل والرحمة بعباده فلا يرى له على أحد فضلا ، ولا يرى له عند أحد حقا ، بل يرى الفضل للناس عليه ، والحقوق لهم قبله ، وهذا خلق إنما يعطيه الله عز وجل من

---

١) محمّد خير أبو حرب ، **المعجم المدرسي** ، دمشق ، المؤسسة العامة للمطبوعات المدرسية ، ط١ ، ١٤٠٦/١٩٨٥، ١١٨٣ ، ١١٥٦ .

يحبه ويكرمه ويقربه "[1] ؛ ويقول الإمام أبي حامد الغزالي[2] عن التواضع : " اعلم أن هذا الخلق كسائر الأخلاق له طرفان وواسطة ، فطرفه الذي يميل إلى الزيادة يسمى تكبرا ، وطرفه الذي يميل إلى النقصان يسمى تخاسسا ومذلة ، والوسط يسمى تواضعا ، والمحمود أن يتواضع في غير مذلة ومن غير تخاسس فإن كلا طرفي الأمور ذميم وأحب الأمور إلى الله تعالى أوساطها "[3] .

إذا تذكرت علاج الكبر والعجب ، علمت أن التواضع ينتج من معرفة الله ﷻ ونعمه ، ومعرفة يوم الآخرة ومعرفة الإنسان بحقيقة نفسه ؛ وخلق التواضع يتطلب أن يتجنب الإنسان المباهاة بما فيه من الفضائل ، والمفاخرة بالجاه والمال . . . وأن يتحرز من الإعجاب

---

١) شمس الدين أبن القيم الجوزية (٧٥١هـ)، **كتاب الرّوح** ، تحقيق : محمّد محمّد تامر ، القاهرة ، دار الفجر للتراث ، ١٤١٩/١٩٩٩ ، ٣٣٢ ، ٢٣٣ .

٢) سبق ترجمته ، ص٨ .

٣) أبي حامد محمّد الغزالي ، **إحياء علوم الدين** ، ٤ .

والكبر فلا يزهو على مخلوق ، ولا يتكبر على أحد ، ولا ينهر سائلا ولا يترفع عن مجالسة الفقراء والمساكين ، ولا يأنف أبدا من الاستماع لنصيحة من هو دونه ، فيعامل الناس دائماً معاملة حسنة بلطف ورحمة ورفق ولين جانب ، دون أن يطعن أو يجرح أحد بهدف التشفي أو الاستهزاء أو منقصة ؛ فيكون ثمار هذا أن يجمع من حوله سائر الناس من الأخوان والأرحام والأصدقاء وغيرهم وتقوى روابط الخير بينهم .

ب- أهمية التواضع :

١- التواضع من أسباب دخول الجنة : يقول الله ﷻ : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[١] .

٢- التواضع أول صفة من صفات عباد الرحمن: يقول الله ﷻ : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى

---

١) القصص : ٨٣ .

الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾[1] .

٣ – التواضع يبعد الإنسان عن التكبر والظلم للناس : يقول رسول الله ﷺ : " إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ، ولا يبغي أحد على أحد "[2] .

٤ – التواضع يرفع قدر الإنسان بين أخوانه : يقول النبي ﷺ : " وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله "[3] .

ج – الرسول ﷺ قدوة المتواضعين : الرسول ﷺ هو سيد المتواضعين ، وكيف لا ؟ وقد أمره ربه عز وجل

---

١) الرحمن : ٦٣ .

٢) مسلم ، **صحيح مسلم** ، كتاب الجنة (٥١) ، باب :الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار (١٦) ، حديث (٢٨٦٥) ، ١١٤٩ .

٣) مسلم ، **صحيح مسلم** ، كتاب البر والصلة والآداب (٤٥) ، باب : استحباب العفو والتواضع (١٩) ، حديث (٢٥٨٨) ، ١٠٤٢ .

بقوله : ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] ؛ فكان أخلاقه العالية وتواضعه سبب لتجمع المؤمنين من حوله ، ولو كان عكس ذلك لما أجتمع من حوله أحد ، يقول جل الله ﷻ : ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾[2] ، فمن تواضعه ﷺ ، كان إذا دخل على الصحابة رضوان الله عليهم لا يقومون له ، لأنهم كانوا يعلمون أنه ﷺ يكره ذلك ، وإذا جلس بينهم كان لا يتمايز عنهم ، فيأتي قاصده فلا يعرفه فيقول : أيكم محمّد ﷺ ؟ وكان إذا سار معهم كان كأحدهم ، وإذا مر بالصبيان سلم عليهم ، وكان من تواضعه ﷺ مشاركة الصحابة رضوان الله عليهم في الأعمال ، مثل بناء المسجد وحفر الخندق والغزوات ، وكان في الطريق الغزوات يتناوب معهم في ركوب الدابة ، لا يعطي لنفسه امتيازاً إلا ما تقتضيه طبيعة القيادة والأمر والنهي ، ومن تواضعه ﷺ يقول انس ﷺ : " كان النبي ﷺ يردف خلفه ، ويضع طعامه في الأرض ، ويجيب دعوة

---

١) الحجر : ٨٨ .

٢) آل عمران : ١٥٩ .

المملوك ، ويركب الحمار "[1] ؛ وسئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن عمل رسول الله ﷺ في بيته ، قالت : " كان بشرا من البشر يفلي ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه "[2] .

---

١) أبي عبالله الحاكم النيسابوري ، **المستدرك على الصحيحين** ، ٤،٢٢٢ . [صحيح الإسناد] .

٢) ابن حنبل، المسند ، ٤٣، ٢٦٣ . [صحيح] .

الوصية السابعة : واغضض من صوتك :

﴿ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾

أ- **الابتعاد عن الأصوات المنفرة :** هذه آخر وصية للقمان الحكيم لابنه ، و يشمل ظاهر هذه الوصية تجنب إزعاج الناس بالأصوات المرتفعة فلا يصيح أو يصدر أصوانا كريهة من شأنها إقلال الناس وإزعاجهم ، سواء أكان يصدر هذه الأصوات بنفسه أو بآلة ، كالمذياع والتلفاز وما شابه ذلك ، أو بما يصدر عن المركبات والدّرّاجات من أصوات منفرة بغير داع أو ضرورة ، وبخاصة في الأماكن التي يحتاج أهلها إلى مزيد من الراحة والعناية ، كالمستشفيات والمدارس وما شابها ، وقد عدت هذه الصور الصوتية المنفية شبيهة بأصوات الحمير ، وسبب تشبه الصوت المنكر بصوت الحمير على وجه الحصر لأنه يطلق صوتاً عالياً في غير موضعه وفي غير حاجة إليه ولا ضرورة .

ب- التحلي بآداب اللسان : في الحقيقة هذه الوصية تشمل كافة آداب اللسان ، فكل كلام يؤذي الناس فهو صوت منكر شبيه بصوت الحمير ، ينفر من يسمعه ، فالمقصود من غض الصوت هو عدم إيذاء الناس ، فماذا يغني الصوت المنخفض إذا كان فيه ألوان من السخرية و الاستهزاء وسوء الأدب مع الناس ؟ فهذه الوصية تطالب الأبناء بأن يتحلى بجميل آداب اللسان وهو يتكلم مع الناس ، فإذا أمر الأبناء بغض الصوت من باب التواضع وعدم إيذاء الناس ، فمن باب أولى نهيه عن الكلام الفاحش والبذيء الذي يؤذي الناس ، يقول الله ﷻ : ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴾[1] .

وينبغي معرفة أصل التي يأخذ الأبناء بهذا الأدب وهما الوالدان والأصدقاء ، فما يورد من كلام على لسان الوالدان يكرره الأبناء ، وكذلك قرناء السوء ، فينبغي على الآباء حفظهم من قرناء السوء ، وعدم التلفظ بألفاظ غير

---

١) الإسراء : ٥٣ .

مناسبة حتى لا يرددها أبنائهم ، ومنعهم من ألفاظ نابية إذا أخذوها من مصدر آخر .

على الآباء أن ينبّه أبنائهم أنهم محاسبون على كل لفظ يلفظون به ، يقول الله ﷻ : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[1] ، وفي الحديث : عن معاذ بن جبل قال : قلت : يا رسول الله أكل ما نتكلم به يكتب علينا ؟ فقال : ثكلتك أمك وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم ؟ إنك لن تزال سالما ما سكت فإذا تكلمت كتب لك أو عليك "[2] .

ج- دور الكلمة الطيبة والخبيثة : من الحديث السابق يأتي أهمية دور الآباء في بيان فائدة الكلمة الطيبة

---

١) ق : ١٨ .

٢) علي بن أبي بكر الهيثمي ، (٨٠٧هـ) ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، تحقيق عبد الله الدرويش ، بيروت ، دار الفكر ، ١٤١٤/ ١٩٩٤، كتاب الزهد ، باب ما جاء في الصمت وحفظ اللسان (٤١- ١٠٥- ٢) ، الحديث ١٨١٥٦ ، ١٠ ، ٥٣٨ .

وخطورة الكلمة الخبيثة ، من خلال آيات و أحاديث وقصص من الواقع تبين ذلك ، فقد دعا الله ﷻ إلى الكلمة الطيبة في قوله : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾[1] ، وشبه الله ﷻ الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة الدائمة الثمر والمنفعة ، فقال ﷻ : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[2] ، وبين الله ﷻ إن الكلام الطيب هو ما دار في ثلاثة محاور : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[3] .

كما حث الرسول ﷺ في أحاديث كثيرة على الكلمة الطيبة ، وجعلها من أسباب دخول الجنة ، يقول النبي ﷺ : " إن في الجنة غرفة يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من

---

١) البقرة : ٨٣ .

٢) إبراهيم : ٢٥ .

٣) النساء : ١١٤ .

ظاهرها " فقال أبو مالك الأشعري : لمن هي يا رسول الله؟ قال : " لمن أطاب الكلام ، وأطعم الطعام ، وبات قائما والناس نيام "[1] ، كما نهى الله ﷻ في المقابل عن الكلمة الخبيثة ، وشبهها بشجرة خبيثة ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾[2] ، وبين الرسول ﷺ إن الكلمة الخبيثة ليست من صفات المؤمنين ، فقال ﷺ : " ليس المؤمن بالطعان ، ولا اللعان ، ولا الفاحش ، ولا البذيّ "[3] ، لا بل جعل الرسول ﷺ الكلمة الخبيثة من أسباب دخول النار – نعوذ بالله منها – فقال ﷺ : " وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم "[4] ، من أجل ذلك وصانا الرسول ﷺ بوصايا حتى لا تنجر إلى الكلمة الخبيثة ، فمن

---

١) الهيثمي ، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** ، كتاب أهل الجنّة ، باب ثان في الصلاة (٤-٢٨٤) ، الحديث (٣٥٣٢) ، ٢ ، ٥٢٤ .

٢) إبراهيم : ٢٧ .

٣) أبي عبالله الحاكم النيسابوري ، **المستدرك على الصحيحين** ، ١، ٥٢ . [حديث صحيح على شرط الشيخين] .

٤) البخاري ، **صحيح البخاري** ، كتاب الرقاق(٨١) ، باب : حفظ اللسان (٢٣) ، حديث (٦٤٧٨) ، ١٢٤٣ .

هذه الوصايا : " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليقل خيراً ، أو ليصمت "[١] ، " كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع "[٢] ، " بئس مطية الرجل زعموا "[٣] .

---

١) البخاري ، **صحيح البخاري** ، كتاب الرقاق(٨١) ، باب : حفظ اللسان (٢٣) ، حديث (٦٤٧٥) ، ١٢٤٣ .

٢) مسلم ، **صحيح مسلم** ، مقدمة مسلم (٢) ، باب : النهي عن الحديث بكل ما سمع (٣) ، حديث (٥) ، ٢٢ .

٣) علي المتقي ، **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال** ، ٣ ، حديث (٨١٩٩) ، ٦١٩ .

الخاتمة

وصية لقمان الحكيم لابنه شملت الأصول الأربعة لدين الإسلامي وهي : العقيدة والعبادة والمعاملة والأخلاق ؛ فمسؤولية الآباء نحو أبنائهم هو تنشئة بنيانهم وكيانهم على الإسلام ، وبهذا ما جاء الرسل ، ولهذا خلق الإنسان ، وبهذا وصى إبراهيم ويعقوب – عليهما السلام – أبنائهم ، يقول الله ﷻ : ﴿ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾[1] .

الأصل الأول : الوصية بالعقيدة الصحيحة : وصى بها للقمان الحكيم من خلال ، النهي عن الشّرك بالله ﷻ ، وشكر الله ﷻ على نعمه التي لا تحصى ، ومعرفة الله ﷻ من خلال أسمائه الحسنى ، والاستعداد ليوم الحساب ، وهذا ما وقفنا عنده في المبحث الأول .

والأصل الثاني : العبادة : وأساسها هي الصلاة ، التي لا تسقط عن المكلف أبداً ، والتي إذا صلحت ، صلح

---

١) البقرة : ١٣٢ .

حال الإنسان بنص القرآن ، وقد وقفنا عندها في المبحث الأول أيضاً .

والأصل الثالث : المعاملة : وهذا ما أشير أليها عند وصية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فإن هذه الوصية تحمل في طياتها الالتزام بالشرع ، فالمعروف هو ما أمر به الشرع ، والمنكر هو ما نهى عنه الشرع .

والأصل الرابع : الأخلاق : وقد وصي بها لقمان الحكيم من خلال أخلاق الإنسان مع والديه بالإحسان إليهما وشكرهما ، وصحبتهما بالمعروف ، وهذا ما وقفنا عنده في المبحث الثاني ، ومن خلال علاقته مع الناس ، بعدم التكبر عليهم ، وعدم المشي في الأرض مرحاً وهو معجب بنفسه ، بل الصبر في مخالطة الناس وهو يوصيهم بالخير وينهاهم عن المنكر ، والتواضع معهم عند المشي في جميع مجالات الحياة ، متأدباً معهم بحسن الكلام وهو يخاطبهم .

هذه مسؤولية الآباء نحو الأبناء ، وسنقف جميعاً بين يدي الله تعالى لنسأل عن هذه المسؤولية ، فهل نعمل بوصية لقمان الحكيم ، ونوصي بها أبنائنا قبل فوات الأوان ؟ أم نعرض عن كل هذا فنكون فمن قال عنهم الله ﷻ : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ ﴾[1] .

وفي الختام أسأل الله العظيم أن يتقبل مني هذا العمل ويجعله خالصا لوجه الكريم ، ويوفقني ، ويوفق كل من قرأ هذه الرسالة ، حسن القيام بمسؤوليتهم نحوا أبنائهم على الوجه الذي يرضي الله ﷻ ، والله ولي التوفيق .

---

١) السجدة : ٢٢ .

المصادر والمراجع والفهرس

أ – المصادر :

- القرآن الكريم .

١- ابن حجر ، أحمد بن علي العسقلاني(٨٥٢هـ) ، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري** ، تحقيق عبد القادر شيبة الحمد ، الرياض ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، ط١ ، ١٤٢١/٢٠٠١، [١-١٣] .

٢- ابن حجر ، أحمد بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) ، **تقريب التهذيب** ، دار العاصمة ، ١٤١٢ .

٣- ابن حنبل ، أبو عبد الله أحمد بن حنبل(٢٤١/٨٥٥)، **المسند** ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤١٦/ ١٩٩٥ ، [١-٥٠] .

٤- ابن العربي ، الحافظ ابن العربي المالكي ، (٥٤٣هـ) ، **عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي** ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، [١-١٣] .

٥- ابن القيم ،شمس الدين أبن القيم الجوزية (٧٥١هـ) ، **كتاب الرّوح** ، تحقيق : محمّد محمّد تامر ، القاهرة ، دار الفجر للتراث ، ١٤١٩/١٩٩٩ ،٣٣٢ .

٦- ابن كثير ، أبي الفداء إسماعيل ابن كثير الدمشقي (٧٧٤هـ) ، **مختصر تفسير ابن كثير** ، اختصار وتحقيق محمّد علي الصابوني ، بيروت ، دار الجيل ، ط٨ ، ١٩٩٥/١٤١٥، [١-٣] .

٧- ابن منظور ، محمّد بن مكرم(٧١١هـ) ، **لسان العرب**، تحقيق : عبد الله علي الكبير - محمد أحمد حسب الله - هاشم محمد الشاذلي ، القاهرة ، دار المعارف ، [١-٦] .

٨- البخاري ، أبي عبدالله محمّد بن إسماعيل(٢٥٦هـ) ، **صحيح البخاري** ، اعتنى به أبو صهيب الكرمي ، الريض، بيت الافكار الدولية للنشر ، ١٩٩٨/١٤١٩، ١٧٥١ .

٩- البيضاوي ، عبد الله بن عمر (٦٩١هـ) ، **تفسير البيضاوي** ، بيروت ، دار الفكر ، [١-٥] .

١٠- الترمذي ، محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي ، **الجامع الصحيح سنن الترمذي** ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، [١-٥] .

١١- الرازي ، محمّد ابن عمر التيمي(٦٠٤ هـ) ، **تفسير الفخر الرازي** ، بيروت ، دار الفكر ، ط١ ، ١٤٠١/ ١٩٨١ ، [١-٣٢] .

١٢- الزبيدي ، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، **تاج العروس من جواهر القاموس** ، تحقيق : محمود محمد الطناحي ، كويت ، مطبعة حكومة الكويت ، ١٣٩٦/ ١٩٧٦ ، [١- ٤٠] .

١٣- الطبراني ، أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٣٦٠هـ) ، **المعجم الكبير** ، تحقيق : حمدي عبدالمجيد السلفي ، القاهرة ، مكتبة ابن تيمية ، [١-٢٥] .

١٤- فوري ، علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري ، **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال** ، ضبطه وفسر غريبه : الشيخ بكري حياني ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤١٣/١٩٩٣ ، [١-١٦] .

١٥- القرطبي ، أبو عبد الله محمّد بن أحمد (٦٧١هـ) ، **الجامع لأحكام القرآن** ، المحقق : هشام سمير البخاري ، دار عالم الكتب ، الرياض ،١٤٢٣ / ٢٠٠٣ ، [١-٢٠] .

١٦- مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج(٨٧٤/٣٦١) ، **صحيح مسلم** ، اعتنى به أبو صهيب الكرمي ، الرياض ، بيت الأفكار الدولية للنشر ، ١٩٩٨/١٤١٩، ١٤٧٣ .

١٧- النسائي ، أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب (٣٠٤هـ) ، **السنن** ، حققه وخرج أحاديثه حسن عبد المنعم شلبي ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ٢٠٠١/١٤٢١ .

١٨- النووي ، يحيى ابن شرف الدمشقي ، (٦٧٦هـ) ، **صحيح مسلم بشرح النووي** ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، ط٢ ، [١-١٨] .

١٩- النيسابوري ، أبي عبالله الحاكم ، **المستدرك على الصحيحين** ، القاهرة ، دار الحرمين ، ط١ ، ١٤١٧/ ١٩٩٧ ، [١-٥] .

٢٠- الهيثمي ، علي بن أبي بكر ، (٨٠٧هـ) ، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** ، تحقيق : عبد الله الدرويش ، بيروت ، دار الفكر ، ١٩٩٤/١٤١٤، [١-١٠] .

ب – الأعمال الحديثة :

١– بو عزيزي ، محمّد العربي ، **محمّد إقبال فكره الديني والفلسفي** ، دمشق ، دار الفكر ، ط١ ، ١٤٢٠/١٩٩٩ ، ٥٥١ .

٢– البوطي ، محمّد سعيد رمضان ، **الحكم العطائية شرح وتحليل** ، دمشق ، دار الفكر ، ط١ ، ١٤٢٢/٢٠٠١ ، [١–٥] .

٣– حبنكة ، عبد الرحمن حبنكة الميداني ، **الأخلاق الإسلامية وأسسها** ، دمشق ، دار القلم ،١٤٢٠/١٩٩٩ ، [١–٢] .

٤– أبو حرب ، محمّد خير ، **المعجم المدرسي** ، دمشق ، المؤسسة العامة للمطبوعات المدرسية ، ط١ ، ١٤٠٦/ ١٩٨٥ ، ١١٨٣ .

٥– الزحيلي ، وهبة بن مصطفى ، **التفسير المنير** ، دمشق ، دار الفكر ، ١٤١٨هـ ، [١–٣٠] .

٦– الشعراوي ، محمّد متولي ، **تفسير الشعراوي** ، د.م ، أخبار اليوم ، د.ت ، [١–١٨] .

٧- موسى ، رءوف سلامة موسى ، **موسوعة أحداث وأعلام مصر والعالم** ، القاهرة ، دار المستقبل ، ط١ ، ٢٠٠١ ، [١-٢] .

٨ - مصطفى ، إبراهيم - وآخرون ، **المعجم الوسيط** ، دار الدعوة [١-٢] .

٩- وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية-الكويت ، **الموسوعة الفقهية الكويتية** ، الكويت ، دار السلاسل ، ط٢ ، ١٩٩٢/١٤١٢ ، [١- ٤٥] .

ج- الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١
تمهيد	٥
المبحث الأول: وصيا لقمان الحكيم في علاقة الأبناء مع الله ﷻ	١٣
الوصية الأولى : لا تشرّك بالله ﷻ	١٥
أ- تعريف الشّرك	١٥
ب – خطورة الشّرك	١٨
ج- بعض صور الشّرك	١٩
الوصية الثانية : شكر الله ﷻ	٢٥
أ-تعريف الشكر	٢٥
ب- نعِّم الله ﷻ	٢٦
ج- أنواع الشكر	٢٩
د- ثواب وثمار الشكر	٣١
الوصية الثالثة : إلى الله ﷻ المصير والمرجع	٣٣

أ- ربط الأبناء باليوم الآخرة	٣٣
ب- التذكير بالأخرة في المناسبات	٣٥
الوصية الرابعة : معرفة الله ﷻ من خلال أسمائه الحسنى	٣٩
أ- من ثمار معرفة أسماء الله ﷻ الحسنى	٣٩
ب- من طرق معرفة أسماء الله ﷻ الحسنى	٤١
الوصية الخامسة : أقم الصلاة	**٤٥**
أ-الأنبياء والصلاة	٤٥
ب- فضائل وثمرات الصلاة	٤٨
ج – خطورة ترك الصلاة	٥٠
المبحث الثاني : وصيا لقمان الحكيم في علاقة الأبناء مع الوالدين	٥٣
أولاً : شكر الوالدين	٥٧
ثانياً : ثواب بر الوالدين	٥١
ثالثاً : خطورة عقوق الوالدين	٦٣
رابعاً: البر بالوالدين بعد موتهما	٦٥
المبحث الثالث : وصيا لقمان الحكيم	٦٧

في علاقة الأبناء مع الناس .	
الوصية الأولى : اتبع سبيل من أناب إلى الله ﷻ	٦٩
أ- الاقتداء بسيرة الرسول محمّد ﷺ	٦٩
ب- اختيار الصديق الصالح	٧٠
ج – التربية من خلال القصص	٧١
الوصية الثانية : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	**٧٣**
أ-تعريف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	٧٣
ب- آداب الأمر بالمعروف النهي عن المنكر	٧٦
ج- فضائل وثمرات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	٧٩
د- خطورة ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	٨١
هـ- خطورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعدم العمل به	٨٢
الوصية الثالثة : الصبر	**٨٥**
أ- تعريف الصبر	٨٥

ب- أنواع الصبر	٨٧
ج- ثواب الصبر	٩٢
الوصية الرابعة : لا تتكبر	**٩٥**
أ- تعريف الكبر	٩٥
ب - خطورة الكبر	٩٦
ج - أسباب الكبر	٩٧
د - علامات مرض الكبر وبعض مظاهره	٩٨
هـ- علاج الكبر.	٩٨
الوصية الخامسة : ولا تمش في الأرض مرحاً	**١٠١**
أ - تعريف المرح	١٠١
ب - خطورة العجب	١٠٢
ج - علاج العجب	١٠٤
الوصية السادسة : التواضع	**١٠٧**
أ- تعريف التواضع	١٠٧
ب- أهمية التواضع	١٠٩
ج - الرسول ﷺ قدوة المتواضعين	١١٠
الوصية السابعة : واغضض من صوتك	١١٣

أ- الابتعاد عن الأصوات المنفرة	١١٣
ب- التحلي بآداب اللسان	١١٤
ج- دور الكلمة الطيبة والخبيثة	١١٥
الخاتمة	١١٩
المصادر والمراجع والفهرس	**١٢٥**
أ- المصادر	١٢٧
ب - الأعمال الحديثة	١٣١
ج- الفهرس	١٢٣